إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إصدارات مكتبة العلم والإيمان الإلكترونية
سلسلة مؤلفات الشيخ (٤)

إليكم يا شباب الإسلام

معالم منهجية وتوجيهات دعوية

تأليف

عاطف بن محمد بن عبد المعز الفيومي

الطبعة الشرعية

الناشر
مكتبة العلم والإيمان الإلكترونية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الشرعية الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٣ م

تنبيه

من أراد أن يطبع الكتاب فليطبعه وليتق الله فيه
مع المحافظة على المادة والملكية العلمية والفكرية
لأنها ملك للمؤلف، ولا يجوز نسبتها لغيره.

مكتبة العلم والإيمان
علمية - إيمانية - دعوية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة

الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على رسول الله – محمد بن عبد الله - وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: إليكم يا شباب الإسلام، وعماد الأمة، وطريق العطاء، ومعقل البناء، وجيل النصر والتمكين: إليكم هذه الكلمات، وإليكم هذه الوصايا والتوجيهات، أقدِّمها لكم؛ عسى الله – تعالى – أن ينفع بها أنفسًا، ويَهدي بها قلوبًا، ويرفع بها هِمَمًا، فاسمعوا أيُّها الشباب المسلم، وخذوا من الكلام أطيبه، ومن الحديث أصحه وأثبته، ومن التوجيه والإرشاد أهداه وأحسنه.

وقد نُشر كثير من هذه الكلمات على صفحات (موقع الألوكة الإلكتروني) وقد كتبتها محاولاً جهدي أن أوافق الحق من كتاب الله – تعالى – وسنة رسوله وما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، من أهل السنة والجماعة، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

فإن أخطأت فنسأل الله الستر والغفران، وأنا منه براء، وإن أصبت فمن الله وحده، راجيًا من الله – تعالى – أن ينفعنا بها، وأن ينفع بها المسلمين أجمعين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
أبو شهاب الدين
عاطف بن محمد بن عبد المعز السلمي الفيومي
في ٢٠ رجب ١٤٣٢ للهجرة النبوية.
فيصل - الجيزة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

الشباب ومعرفة غاية الوجود الكبرى

إليكم يا شباب الإسلام، وعماد الأمة، وطريق العطاء، ومعقل البناء، وجيل النصر والتمكين: إليكم هذه الكلمات، وإليكم هذه الوصايا والتوجيهات، أقدِّمها لكم؛ عسى الله - تعالى - أن ينفع بها أنفسًا، ويَهدي بها قلوبًا، ويرفع بها هِمَمًا، فاسمعوا أيُّها الشباب المسلم، وخذوا من الكلام أطيبه، ومن الحديث أصحه وأثبته.

وإنِّي لأوجز مقالي ورسالتي في نقاطٍ ومحاور محددة إليكم، فأقول:

أولًا: الشباب والوقت نعمتان يجب اغتنامهما:

الشباب نعمة واختبار:

عليكم - أيها الشباب المسلم - أن تعلموا أولاً أنَّ وُجودكم في الحياة الدُّنيا نعمة من الله - تعالى - عليكم، تستوجب شكرَ الله عليها، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤].

وأنَّ هذا الوجودَ في دار الدنيا ليس الوجود الخالد الباقي، كلاَّ، بل إنَّه وجودٌ مُؤقت وقليل، وأمَّا النعيم الحق، والخلود الدائم الباقي، فهو في الآخرة عند لقاء الله - تعالى - هنالك؛ حيث يُجازى كلُّ مكلف من الإنس والجن بعمله، ورحمة رَبِّه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد أخبرنا الله – تعالى – عن هذا كله في كتابه، وعلى لسان رسوله محمد – صلَّى الله عليه وسلَّم – كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٢].

كما أنَّ عليكم أن تعلموا أنَّ الشباب فترة وجزء من العمر الذي وهبه الله – تعالى – لكم، وأنَّكم محاسبون عليه، مجزيون به، مسؤولون عنه أمامَ الله – تعالى – فيجب عليكم اغتنامُ هذه الدرة الثمينة من أعماركم، وشغلها بطاعة ربكم ونبيكم – صلَّى الله عليه وسلَّم – وقد جاء في الحديث: عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لرجل وهو يعظه: ((اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هَرَمِك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))؛ [رواه الحاكم، وقال: "صحيح على شرطهما"، وصححه الألباني: ١٠٧٧ في صحيح الجامع].

وعن أبي بَرْزَة – رضي الله عنه – أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((لا تزول قدما عبد يومَ القيامة حتى يُسألَ عن أربع: عن عمره، فيمَ أفناه؟ وعن علمه، ما عمل به؟ وعن ماله، من أين اكتسبه، وفيمَ أنفقه؟ وعن جسمه، فيمَ أبلاه؟))؛ [رواه الترمذي، وقال: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني].

وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره، فيمَ أفناه؟ وعن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شبابه، فيمَ أبلاه؟ وعن ماله، من أين اكتسبه، وفيمَ أنفقه؟ وعن علمه، ماذا عمل فيه؟))؛ [رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح واللفظ له، وصححه الألباني].

بل قد ورد أيضًا أنَّ في الجنة شبابًا، وكذلك كل أهلها، وأن الحسن والحسين - رضي الله عنهما - سَيِّدا شباب الجنة، ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان، وعلي بن أبي طالب وغيرهم أنَّ النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))؛ [أخرجه الحاكم والترمذي، وصححه الألباني في الصحيحة، ٢/ ٤٣٨].

وهذا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يُخاطِب الشباب، ويُناديهم بطاعة الله - تعالى - ويعدهم بالجزاء الأوفى في جَنَّاتِ النعيم؛ ففي الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((يا شبابَ قريش، احفظوا فروجَكم، لا تزنوا، ألاَ من حفظ فرجَه، فله الجنة))؛ [رواه الحاكم والبيهقي وصححه الألباني].

وفي رواية حسنة للبيهقي: ((يا فتيانَ قريش، لا تزنوا، فإنَّه من سلم له شبابه، دخل الجنة)).

ألاَ فاجعلوا من شبابكم طريقًا نحو المعالي، واجعلوا من شبابكم طريقًا نحو الخير والإحسان، واجعلوا من شبابكم طريقًا نحو العز والنصر والتمكين.

الحذر من إضاعة الأعمار والأوقات:

واحذروا أشدَّ الحذر من هدر الشباب والعمر في غير طاعة واجتهاد، أو إضاعته في الذُّنوب والسيئات، فإنَّ الخاسر يومَ القيامة من يَجد نفسَه بلا حسنات تثقل ميزانه، فيرجو يومَها ويتمنَّى العودة إلى دار العمل، فلا يُجاب، كما أخبر الله - تعالى - عن هذا الصنف في كتابه؛ فقال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٤].

كما يجب عليكم أن تعلموا أنَّ وقتكم هو رأس مالكم، فإنْ ضاع الوقت والزمان في غير فائدة وثمرة مرجوة، فقد خَسِر الإنسان جزءًا من عمره وشبابه؛ لأنَّ استثمار الأوقات والساعات في طاعة الله ورضاه وعبادته، هو الخير كله، وهو السعادة كلها، كما أنَّ إضاعتها هو الغبن كله؛ فعن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ))؛ [رواه البخاري].

وإذا تدبرنا آياتِ القرآن رأينا أنَّ الله قد أقسم بالليل والنهار، والفجر والصبح والضحى، والعصر وغيرها من الأوقات من الليل والنهار، وما ذاك إلا لنعلمَ آيات قدرته في الخلق، واستثمار هذه الأوقات فيما شرعه - سبحانه - قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَوْمَ أَسْرَعُ ذَاهِبِ وَأَنَّ غَدًا لِلنَّاظِرِينَ قَرِيبُ

وقد سأل الفضيل بن عياض رجلاً، فقال له: كم أتت عليك؟ قال: ستون، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك، توشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومما يؤسف القلبَ أنَّ كثيرًا من المسلمين اليومَ أصبح لا يهتم بوقتِه، وصار يهدره في غير فائدة مرجُوَّة، أو ربما في كثير من الذنوب والسيئات، والجلوس في أماكن الفارغين والمقاهي، أو مع رفقة السوء والغيبة والنميمة، أو يقطع النهار والليل أمامَ بعض القنوات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمواقع الإباحية، والتي فيها من مشاهد العُري والفاحشة والزنا ما الله به عليم، وفيها من إماتة الغَيْرة والرجولة والحياء ما فيها، وفيها من نشر الفاحشة والمنكرات بين المسلمين ما فيها، وهذا أمرٌ قبيحٌ في حق المسلم العاقل.

قال علي - رضي الله عنه -: "إنَّما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى، فإن طولَ الأمل يُنسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصدُّ عن الحق".

وقال عون: "كم من مُستقبلِ يومٍ لا يستكمله، ومُنتظرٍ غدًا لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره".

وقال الشاعر:

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِي

إنَّ الغفلةَ عن الوقت والاستفادة من الأزمان خطرٌ عظيم؛ لأنَّ الغفلة آفةٌ قاتلة، وداءٌ عُضال فتَّاك، وطريق يكثُر فيه السالكون إلاَّ مَن رَحِم الله - تعالى - دبَّ هذا الداء في جَسَد الأمَّة الإسلامية منذ عدَّة قرون، وأقعَدها عن سبيلها، وأوْهن مِن قُواها، وشغلها أيَّما شغل عن رسالتها وغايتها في هذه الحياة الدُّنيا، والمتأمِّل في آيات القرآن يرى أنَّ الله - تعالى - قد أنذر وحذَّر مِن هذا الداء المهلِك، الذي أصابَ الأُمم، وأقعدَها عن السَّبِيل الأَمَم، بل وحلَّ بها عقاب الله - تعالى - المعجَّل، كما قال - تعالى - في كتابه لرسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس: ٦ - ٧].

حال السلف مع الوقت وحفظه:

وقد كان سلفنا الصالح يَحرصون على حفظ أوقاتِهم وأيامهم فيما يرجع عليهم بالفائدة في الدُّنيا والآخرة، فهذا أبو الوفا بن عقيل - رحمه الله - يقول: "إنِّي لا يَحل لي أنْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أضيع ساعةً من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن المذاكرة، وتعطل بصري عن المطالعة، أعملت فكري في حال راحتي، وأنا منطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره".

وكان ابن الجوزي - رحمه الله - إذا دخل عليه مَن يظن فيه تضييع وقته، كان يشغل نفسه بالقيام ببَرْيِ الأقلام، وقص الأوراق حتى لا يضيع وقته.

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزدد فيه عملي".

وقال ابن القيم - رحمه الله -: "إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأنَّ إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها".

وقال الحسن البصري: "لقد أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشدَّ حرصًا منكم على أموالكم".

معرفة الصحابة - رضي الله عنهم - غايتهم ورسالتهم:

ولا تنسوا - أيها الشباب - أنَّ الذين أسلموا مع رسول الله في أولِ دَعوته، والذين نصروه وهاجروا وجاهدوا معه كان جُلُّهم من الشباب.

فأبو بكر الصديق كان أصغرَ من رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وكذلك مُصعب بن عمير من الشباب، وعلي بن أبي طالب، والأرقم بن أبي الأرقم، وغيرهم كثير، ممن أسلموا في أول العهد المكي، ثم انطلقوا يَحملون رسالةَ التوحيد والعبودية لله - تعالى - لكل العالمين، وكانت العبادة وتعبيد الناس لله - تعالى - هي الغاية والمنطلق عندهم، ففتحوا البلادَ شرقًا وغربًا بالإسلام والإيمان، يبلغون رسالاتِ الله ويَخشونه، ولا يَخشون من أحدٍ سواه - تعالى - لأنَّهم علموا غايتهم ورسالتهم في الحياة، وعلموا لماذا أوجدهم الله - تعالى - وعلموا صدق ما أعد لهم في دار كرامته وفي جنته في الآخرة،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فانطلقوا نحو غايتهم ورسالتهم، وقد أخبر الله عنهم في كتابه الخالد، فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢ - ٢٤].

ولما ثبت النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ومن معه من جيل الدعوة الأول، وصبروا على الكيد والمكر، والصد والاستهزاء، والإعراض والإغراء، وتركوا كلَّ متاعهم وأموالهم، بل نساءهم وأبناءهم وعشيرتهم لله ورسوله، وكانوا مثالاً واقعيًّا للثبات على المبادئ والحق، والتضحية الصادقة من أجله ونصرته، لما كان هذا حالَهم، مَكَّن الله لهم في الأرض، وأَذِنَ لهم بالتمكين الموعود لأهل الحق والإيمان، والتوحيد والمتابعة، فلقد أذن لهم بالهجرة إلى المدينة ولرسوله؛ تَمهيدًا لعالم ومجتمع إسلامي جديد، مجتمع لا يعرف الجاهلية، ولا يعرف الشرك والوثنية، ولا يعترف بألوهية المخلوقات، ولا بفساد المعاملات، ولا بقيام الحروب والعداوات من أجل لا شيء، ولا يستمد شرائعه وأخلاقه من تصوُّرات بشرية، أو عقائد وأفكار رومانية أو نصرانية، مجتمع لا تتملقه النفوس الدنيئة من أصحاب الشهوات الرخيصة.

لقد أزالت الهجرةُ كلَّ ذلك، فالهجرة تَجبُّ ما قبلها، لقد قام صرحٌ شامخ للإسلام ودعوته بعد عِدَّة محاولات للهجرة والبناء للحبشة، وزالت غربةُ الإسلام والرسالة الأولى، ولم تعُد غريبة على أرض الجزيرة، بل ظهرت كالشَّمس المنيرة في رابعة النهار، وعلا صوتُ الحق والإيمان على أبواق الجاهلية الخاوية، زالت الغربة بهذا التمكين، الذي قام على أكتاف خِيَرَةِ البشر بعد الرُّسل، إنَّهم أصحاب الرسول وأتباعه، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم مَن قضى نَحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً، وكما جاء في الحديث النبوي: ((بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء)).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالمقصود:

أنَّ الصحابةَ الكرام أدركوا حقيقةَ وجودهم في الحياة، فقاموا بغايَتِهم خيرَ قيام، وجاهدوا في الله خَيْرَ جهاد، وهم القدوة والأسوة لنا في ذلك، فعلينا أن نَجعلهم مثلاً أعلى بعد رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بهم نحتذي، وبهم نقتدي.

وفرقٌ بعدَ هذا بين شبابٍ لا يعلمون لهم في هذه الحياة غايةً يسعَوْن إليها، ويَجِدُّون من أجلها، أو يَجعلون لهم غاياتٍ وأهدافًا خسيسة هزيلة، من العشقِ المُحرَّم مع النساء، واللهو والطرب، والتسكُّع في الطرقات بلا رقيب، وحصول المعاكسات والعبارات القاتلة لمعاني الإيمان والحياء، فرق بين هؤلاء وبين شَبابٍ عَلِموا غايتَهم ورسالتَهم، فأعلوا الهِمَم إليها، وشَمَّروا عن ساعد الجد والعمل لتحقيقها، ولا ريب أنَّ هؤلاء هم الفائزون الرابحون في خاتمة المطاف؛ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وإنَّ من أجَلِّ ما تستفاد به الأوقات والأزمان أن يعلم المسلم غايتَه وأهدافه في حياته، فيعمل على تحقيقها، والقيام بحَقِّها، وشغل الوقت والجوارح بها.

والعبادة: هي غايتنا الكبرى، ورسالتنا في الحياة، وفي العبادة شغلٌ أيّما شغل، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

* * *

ثانيًا: تحقيق العبادة الغاية الكبرى للوجود:

فعلى الشباب المسلم أنْ يُدرك هذه الحقيقة المهمة والكبيرة، إنَّها حقيقة خلقنا في دار الدنيا، فالله - تعالى - خلقنا وأوجدنا؛ لحكمة جليلة، وغاية نبيلة، وهي: "عبادة الله وحدَه لا شريك له".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد بين ذلك الله – تعالى – في كتابه؛ حَتَّى لا يكونَ لأحد حجة أو معذرة يومَ القيامة فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالله – تعالى – ما خلقنا للعب واللهو الباطل، والانشغال بالشَّهوات المحرمة، والانغماس في الدنيا وحطامها الفاني، كلاَّ، إنَّما خلقنا لشرف العبادة والعبودية له وحدَه تعالى.

والعبادة لله تعني: أنْ تكونَ حياتنا كلها لله – تعالى – قائمة بأمره، وما شرعه على لسان رسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كما أخبر تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣]، فلا ذبح، ولا نذر، ولا قربان، ولا تعبد، ولا شيء من ذلك إلاَّ لمستحقه – سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "العبادة: هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"؛ اهـ.

فالعبادة بهذا المعنى: عبادة شاملة وعامَّة، ففي الإيمان بالله – تعالى – وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره – عِبادة، وفي إقامة الصلوات، وإيتاء الزَّكَوات، وصوم رمضان، وحج البيت، وتلاوة القرآن، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، وإماطة الأذى عن الطريق، وذكر الله، والإحسان للناس – عبادة، وفي الحكم بما أنزل الله عبادة، وفي أموالنا واقتصادنا عبادة، وفي العمل الصالح عبادة، وفي كلِّ شؤوننا عبادة؛ لأنَّها عبادة شاملة كاملة من لدن حكيم خبير.

وهذه العبادة توقيفيَّة: بمعنى أنَّه لا يشرع منها إلاَّ بدليل من الكتاب والسنة، وما لم يشرع يُعَدُّ بدعة مردودة، كما قال النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – في الحديث المتفق عليه: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد))؛ أي: مردود عليه عمله، لا يقبل منه، بل يأثم عليه؛ لأنَّه معصية وليس طاعة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم اعلموا أنَّ المنهج السليم في أداء العبادات المشروعة هو الاعتدال: بين التساهل والتكاسُل، وبين التشدد والغلو؛ قال تعالى لنبيه - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢]، فهذه الآية الكريمة فيها رسم لخطة المنهج السليم في فعل العبادات[١].

ومبنى العبادة في الشريعة الإسلامية يقوم على قاعدتين مهمتين:

الأولى: ألا يعبد إلا الله وحدَه.

الثانية: ألا يعبد إلا بما شُرِعَ على لسان رسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم.

فالعبودية لله - تعالى - هي غاية الوجود الإنساني في الحياة الدُّنيا، وقد تعرَّض القرآن الكريم لها، وبَيَّنَ ما اشتملت عليه من المقامات العالية، وأشار القرآنُ إليها في كثيرٍ من آياته، ودعا إليها، وحَثَّ عليها، ومدح أهلَها القائمين بها وبحقوقها، وأثنى بها على أنبيائه ورُسله - عليهم السلام - ووعدهم بالأمن يومَ القيامة من الفزع والأهوال، وبالفوز بجنَّات النعيم في دار الخلود الأبدي، ومن ثَمَّ أمر بها عبادَه الصالحين، بَدْءًا من الأنبياء والمرسلين، وشرعها لهم ولأتباعهم من بعدهم، وأمرَهم بالإخلاص فيها، وجعل دعوتَهم جميعًا إليها:

كما قال الله - سبحانه -: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال - سبحانه -: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وبهذه العبادة أرسل جميع الرسل، كما قال نوح - عليه السَّلام - لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم - عليهم السلام - لأقوامهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال أيضًا لرسوله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، واليقين هنا هو: الموت.

كما وصف - سبحانه - ملائكتَه وأنبياءَه بالعبودية، فقال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

ومن هنا ندرك - أيُّها الشباب - أنَّ تقريرَ حقيقةِ العبودية في حياة الناس يُصحِّح تصوراتِهم ومشاعرهم، كما يصحح حياتهم وأوضاعهم، فلا يُمكن أن تستقرَّ التصورات والمشاعر، ولا أن تستقر الحياة والأوضاع على أساسٍ سليم قويم، إلاَّ بهذه المعرفة وما يتبعها من إقرار، وما يتبع الإقرار من آثارٍ عندما تستقر هذه الحقيقة بجوانبها في نفوس الناس، وفي حياتهم يلتزمون بمنهجه وشريعته، ويستشعرون العِزَّةَ أمام المتجبرين والطُّغاة، حين يخرون لله راكعين ساجدين يذكرونه، ولا يذكرون أحدًا إلا الله، تصلح حياتهم وترقى، وتكرم على هذا الأساس.

إنَّ استقرارَ هذه الحقيقة الكبيرة في نفوسِ المسلمين، وتعليق أنظارهم بالله وحدَه، وتعليق قلوبهم برضاه، وأعمالهم بتقواه، ونظام حياتهم بإذنه وشرعه ومنهجه دون سواه، في هذه الحياة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأما ما يجزي الله به المؤمنين المقربين بالعبودية العاملين للصالحات في الآخرة، فهو كرم منه وفضل في حقيقة الأمر، وفيض من عطاء الله[٢].

من هنا نعلم جيدًا أن الغاية الكبرى، والمنطلق القويم إنَّما هو من العبادة وللعبادة والتوحيد الخالص لله - تعالى - لأنَّ تَحقيق هذه الغاية، وهذا المنطلق هو طريقُ إقامة خلافة الإسلام الراشدة على مِنْهاجِ النبوة، كما أخبر - تعالى - في كتابه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٥ - ٥٦].

* * *

ثالثًا: النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - المثل الأعلى في العبادة:

وعندما نتأمَّل - أيها الشباب - في سيرة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - نعلم من خلالها أنَّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - قد ضرب لأمته المثلَ الأعلى في العبادة والاتباع لأمر ربه - تعالى - حتى إنَّ الله - تعالى - جعله المثل الأعلى، والقدوة الصالحة، التي ينبغي على كل مسلم الاقتداء بها إلى يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

حال النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - في عبادته -:

فهذا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - في العهد المكي يقوم من الليل، ويقرأ كتابَ الله - تعالى - ويرتل آياته، ويتمعن في معانيه، ويأخذ منه الزاد والإيمان؛ ليتقوى به على عبادة ربه، والدعوة إلى سبيله، وحمل رسالة الإسلام، وتبليغها للعالمين، ومن تأمَّل سورة المزمل، أدرك ذلك أيما إدراك؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً * وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ [المزمل: ١ - ١١].

قال صاحب "الظلال" - رحمه الله تعالى -: "ولا بد لأي روح يراد لها أنْ تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى... لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعضَ الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة.

لا بُدَّ من فترة للتأمُّل والتدبر والتعامُل مع الكون الكبير وحقائقه الطليقة، فالاستغراق في واقع الحياة يَجعل النفس تألفه وتستنيم له، فلا تُحاول تغييره، أمَّا الانخلاع منه فترة، والانعزال عنه، والحياة في طلاقة كاملة من أسْرِ الواقع الصغير، ومن الشواغل التافهة، فهو الذي يؤهل الروح الكبير لرؤية ما هو أكبر، ويدربه على الشعور بتكامُل ذاته دون حاجة إلى عُرف الناس، والاستمداد من مصدر آخر غير هذا العُرف الشائع.

وهكذا دبر الله لمحمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو يعده لحمل الأمانة الكبرى، وتغيير وجه الأرض، وتعديل خط التاريخ"[٣].

وقد كان النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقوم من الليل حتى تتورمَ قدماه من طول القيام، وهو متبتِّل قانت قائم باكٍ بين يدي الله - تعالى - فعن عائشةَ - رضي الله عنها - قالت: كان النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا، يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أكون عبدًا شكورًا))؛ [متفقٌ عليه].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: "كان النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يُصلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعةٍ))؛ [متفقٌ عليه].

وعن أنسٍ – رضي الله عنه – قال: "كان رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئًا؛ وكان لا تشاء أن تراه من الليل مُصليًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته"؛ [رواه البخاري].

فلنتأمَّل كيف كانت عبادة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وكيف أنَّه لا يكلُّ ولا يفتر عنها من قيام، أو تلاوة للقرآن، أو ذكر، أو تسبيح، أو صيام، أو غير ذلك.

حث النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – للصحابة والشباب على العبادة:

بل إنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم، أيها الشباب – كان يحث أصحابَه على العبادة والقيام، وغير ذلك من سائر العبادات، وكان يأمرهم بها، ويُربِّيهم على الاستزادة منها، والحرص عليها، ويعلمهم فيها ما ينفعهم، ويُحذِّرهم من التكاسُل عنها، واقرؤوا معي هذه الأحاديث؛ لتعلموا فقهَ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – في تربية وتوجيه الصَّحابة الكرام – رضي الله عنهم –:

فعن عليٍّ – رضي الله عنه – أنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – طرقه وفاطمة ليلاً، فقال: ((ألاَ تصليان))؛ [متفقٌ عليه].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهم – عن أبيه: أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل))، قال سالمٌ: "فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً"؛ [متفقٌ عليه].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((يا عبد الله، لا تكن مثل فلانٍ، كان يقوم الليل فترك قيام الليل))؛ [متفقٌ عليه].

وعن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: ذكر عند النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - رجلٌ نام ليلةً حتى أصبح، قال: ((ذاك رجلٌ بال الشيطان في أذنيه))، أو قال: ((في أذنه))؛ [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم، إذا هو نام - ثلاثَ عقدٍ، يضرب على كل عقدةٍ: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ، فذكر الله - تعالى - انحلت عقدةٌ، فإن توضأ، انحلت عقدةٌ، فإن صلى، انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيبَ النفس، وإلاَّ أصبح خبيثَ النفس كسلان))؛ [متفقٌ عليه].

وعن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلامٍ))؛ [رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ].

قال ابن عثيمين - رحمه الله -: "((وصلوا بالليل والناس نيام))، اللهم اجعلنا من هؤلاء، ربَّما كان أحسن وألذ النوم ما كان من بعد منتصف الليل إلى الفجر، فإذا قام الإنسانُ في هذا الوقت لله - عزَّ وجلَّ - يتهجد، يتقرب إليه بكلامه، وبدُعاءٍ خاشع بين يديه، والناس نائمون، فهذا من أفضل الأعمال.

((صلوا بالليل والناس نيام))، وهذا محل الشاهد من هذا الحديث أنَّ الرسولَ - صلَّى الله عليه وسلَّم - جعل الصلاةَ بالليل من أسبابِ دخول الجنة، والثَّواب، قال: ((تدخلوا الجنة بسلام)) تسلم عليك الملائكة؛ ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤]، يهنئونهم بما صبروا وبهذا الثواب العظيم"[٤].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل))؛ [رواه مسلم].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدةٍ))؛ [متفقٌ عليه].

فهذه الأحاديث والنصوص تبين لنا كيف كان رسول الله المثل الأعلى في امتثاله لأمر الله - تعالى - وقيامه بالعبادة في الليل، وكيف أنَّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - كان يربي أصحابه عليها، ويَحثهم ويرشدهم إلى فعلها.

وفي هذا درس تربوي جليل لكل مربٍّ وكل داعية إلى الله - تعالى - ألاَّ يأمر الناس حتى يفعل، وألاَّ يدعو الناسَ إلى شيء يقوم هو بفعل ما ينقضه أو يخالفه، فإنَّ هذا من القبح عند الله - تعالى - بمكان، كما قال - سبحانه -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

وفي هذا عبرة لنا أنَّ العبادة من القيام بالليل، وتلاوة القرآن، وتدبره - زادٌ من الإيمان، وزاد من التربية والإعداد، وزاد من الهداية والثبات على حمل الرِّسالة وأدائها، كما بَيَّنَ الله - تعالى - في آيات المزمل: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل: ٦].

قال الشنقيطي - رحمه الله تعالى -: "قوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل: ٦]؛ أي: ما تنشئه من قيام الليل أشدُّ مُواطأةً للقلب، وأقوم قيلاً في التلاوة والتدبر والتأمُّل، ومِن ثَمَّ بالتأثر، ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا الثقل فيما سيلقى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه من القول، فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به لتحمل ثقل أعباء الدعوة والرسالة"[٥].

وفي هذا التعبد والقيام بالليل ثمرة أخرى، وحصاد آخر؛ فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((عليكم بقيام الليل، فإنَّه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم))؛ [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

* * *

* الهامش:

---

[١] "العقيدة الإسلامية"، أحمد آل سبالك.

[٢] "في ظلال القرآن"، (٢/ ٢٨٠).

[٣] "في ظلال القرآن"، المجلد السادس، تفسير سورة المزمل.

[٤] "شرح رياض الصالحين"، (٣/ ٤٤٣).

[٥] "أضواء البيان"، تفسير سورة المزمل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

البناء والتربية

لا يزالُ الحديث معكم - يا شبابَ الإسلام - في تَجدُّد، ولا زلنا معكم نوجه ونرشد، ونؤصِّل ونُقعِّد في سبيلِ بناء جيل إسلامي، سليم العقيدة والمنهج، صحيح العبادة والمعاملة، مُستقيم الأخلاق والسلوك، واسع النظر والأُفُق، دقيق الفهم والعمل، عالي الهمة، قوي البنية، حسن الصلة بربه ودينه.

وهذا كلُّه لا يتحقق إلا بشقِّ الأنفس، وكمال الصَّبر، ودوام التربية والبناء، فمن دون التربية ومن دون البناء لن يتحقق شيءٌ لأمتنا وشبابنا، ومن دون التربية والبناء لن يأتي نصرٌ ولا عِزٌّ ولا تَمكين، ومن دون التربية لا يكون انتصارٌ ولا غلبة على أمم الكفر المعادية لأمة التوحيد والإيمان.

*** البناء والتربية منهجُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأساس الدعوة والتغيير:**

أيها الشباب:

إنَّ التربية تعني لنا التكوين والإعداد لتنمية القدرات والملكات والاتِّجاهات الصحيحة لبناء الفرد والمجتمع، وَفْقَ منهج الإسلام، ولإيجاد الجيل المسلم، الذي يحاكي ويقارب جيلَ الصحابة والسلف والتابعين من بعدهم بإحسان.

ولا يكون هذا التكوين والإعداد إلاَّ من خلالِ بناء العقيدة السليمة في النفوس، والعبادة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة الكريمة، كما كان الأمر أَوَّلَ دعوة الإسلام الراشدة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالتربيةُ إذًا الخطوة الأساسية لبناء مجتمع إسلامي، وإعادة خلافة الإسلام إلى سُلطان السيادة والحكم على منهاج النُّبوة الراشدة.

وإذا تأمَّلنا - أيها الشباب - في سيرةِ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ظهر لنا هذا جليًّا واضحًا، فرسولُ الله ما قام في أولِ دَعوته ليتسلمَ مَفاتيح القيادة والحكم والتغيير بين قومه وعشريته، كلاَّ، إنَّما قام داعيًا ومربيًا، ومُعلمًا وهاديًا، يدعو إلى عبادة الله - تعالى - دونما سواه من المخلوقات والمعبودات الباطلة، ويربي أهلَ الإيمان والاستجابة على منهج الله - تعالى - وشريعته، حتى اكتملَ له البناء، وتَمَّ لهم التمكين الموعود، والنَّصر المنشود، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٧].

فرسالةُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - بَيِّنَةٌ واضحة، قامتْ على بناءِ الدَّعوة والهداية، والبشارة والنذارة؛ قال السعدي - رحمه الله -: "كونه ﴿ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ ﴾؛ أي: أرسله اللهَّ، يدعو الخلق إلى ربِّهم، ويسوقهم لكرامته، ويأمُرهم بعبادته التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامَتَه على ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم بربهم بصفاتِه المُقَدَّسة، وتنْزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلى اللهَّ بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقه، وإخلاص الدعوة إلى اللهَّ، لا إلى نفسه وتعظيمها، كما قد يَعْرِض ذلك لكثير من النُّفوس في هذا المقام، وذلك كله بِإِذْنِ الله - تعالى - له في الدَّعوة وأمره وإرادته وقَدَره"[١].

وقال شيخ المفسرين الطبري - رحمه الله -: "وقوله: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ ﴾ يقول: وداعيًا إلى توحيدِ الله، وإفراد الألوهية له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل مَن سواه من الآلهة والأوثان"[٢].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال البيضاوي - رحمه الله -: "﴿ وَدَاعِيًا إِلَى الله ﴾ إلى الإقرار به وبتوحيده، وما يجب الإيمان به من صفاته"[٣].

وقال ابنُ الجوزي - رحمه الله - في "زاد المسير": "﴿ وداعيًا إلى الله ﴾؛ أي: إلى توحيده وطاعته"[٤].

إذًا فالدَّعوة إلى الله - تعالى - والصبر عليها منهجٌ نبوي رشيد، يهدفُ لبناء وتربية النفس البشريَّة على القيام بواجبات الله - تعالى - وفرائضه، وأحكامِه وشرائعه، وتقديم العمل الصالح بين يدي الإيمان بالله ورسوله، فكان الظفر والتمكين، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٥ - ٥٦].

واعلموا - أيُّها الشباب - أنَّه قد عُرض على النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - الملك والسلطان، والمال والسيادة أولَ أمرِه ودعوته، لكنَّه أعرض عن كل هذا، واتَّجه نحو البناء والتغيير للنفس البشريَّة مباشرة، دون تدخُّلِ واسطةٍ ليس لها في النفس شأن ولا بُنيان، وصمد حتى أُذِنَ له بالهجرة المباركة إلى المدينة، فكانت هناك السيادة والملك والسلطان، ولكن بأهلِ العقيدة الراسخة، والأنفس الزَّكية الطاهِرة، التي أرادَتِ الحقَّ، وبذلتْ له أرواحَها وأموالَها، وكل ما لديها من مقومات الحياة.

وقد روى الإمامُ عبد بن حميد في - مسنده - بسنده عن جابر بن عبدالله قال: "اجتمعتْ قريش يومًا، فقالوا: انظروا أعْلَمكم بالسحر والكهانة والشِّعر، فليأتِ هذا الرجل الذي فرَّق جماعَتَنا، وشَتَّت أمرَنا، وعاب دينَنا، فليكلمه، ولينظر ماذا يرد عليه؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ثم قال: إن كنتَ تزعُم أنَّ هؤلاء خيرٌ منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبتَ، وإن كنت تزعُم أنَّك خير منهم، فتكلم حتى نسمعَ قولك، إنَّا والله ما رأينا سَخْلَةً قَطُّ أشأم على قومك منك، فرَّقْتَ جماعَتَنا، وشتَّتَّ أمرَنا، وعبت دينَنا، وفضحْتَنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أنَّ في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلاَّ مثل صيحة الحُبلى أنْ يقومَ بعضنا إلى بعضٍ بالسيوف حتى نتفانى.

أيُّها الرجل، إنْ كان إنَّما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحدًا، وإن كان إنَّما بك الباءة، فاخترْ أيَّ نساء قريش شئتَ، فلنُزوجك عشرًا، فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((فرغت؟))، قال: نعم، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ إلى أن بلغ: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١ - ١٣]".

فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: ((لا))، فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئًا أرى أنَّكم تكلمونه إلاَّ كلمته، قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم، ثم قال: لا والذي نصبها بينة، ما فهمت شيئًا مما قال غير أنَّه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود".

قال الألباني - رحمه الله - في صحيحِ السيرة النبوية: "وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم بسنده عن الأجلح به، وفيه كلام، وزاد: وإن كنت إنَّما بك الرياسة، عقدنا ألويتنا لك، فكنت رأسًا ما بقيت، وعنده أنَّه لما قال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣]، أمسك عتبة على فيه، وناشده الرحم أن يكفَّ عنه، ولَم يخرج إلى أهله، واحتبس عنهم"[٥].

هذا ما فعله رسولُ الله مع عُتبة ومع قريش، في سبيلِ ردِّ تلك الإغراءات الدَّنيئة، والعروض الرخيصة لتركِ الرِّسالة والدعوة والتوحيد، إلاَّ أنَّ رسولَ الله ما أجاب إلا بالقرآن المنزل، والقول الفصل، الذي لا مراءَ فيه ولا هزْل، فكان الجواب القاصم لأهل الكفر والشرك.

فلا سبيلَ إذًا إلى حقيقةِ الإصلاح والنُّهوض - اليومَ - في كلِّ مَجالات الحياة الإسلامية وصُورها، إلاَّ أن تقومَ جماعة - أعني: فريقًا من الأمة بالمعنى الشرعي - تَحمل على عَاتِقها أمانة العودة والتغيير والإصلاح على منهاجِ النُّبوة الأول، ولا يتأتَّى ذلك إلاَّ بالأصْل الأصيل، والطريق القويم - الدعوة إلى الله تعالى - على منْهج السلَف الصالح، مع كمال الاستِقامة عليه؛ ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والواقف بعَيْن البصيرة مع السيرة النبويَّة المباركة يتجلَّى له بوُضُوح هذه الحقيقة الكبيرة، حقيقة إقامة الحياة الإسلامية بمنْهج الدَّعْوة إلى الله تعالى.

فبَعْثة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - كانتْ في جزيرة العرب، التي حَلَّتْ بها كثيرٌ من البلايا والرَّزايا في الاعتقاداتِ والمعامَلات، والأخلاق والسلوكيات، مع وجود بقايا لا تنكر من المروءة والأخلاق، لكنَّ حياتَهم ساد فيها صورٌ وألوان من التَرَدِّي في العقل والمعتقد؛ مِمَّا جعلهم يعبدون حجرًا لا يسمع ولا يُبصر من دون الله - تعالى - بل وتعددت الآلهة بتعدُّد أصحابها، حتى سخروا من النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلك أكلهم الرِّبا، والظُّلم الاجتماعي، وانتشار الفواحش والمنكرات المعلَنة بلا حياءٍ أو خجل أو خوف مِن عقوبة، فاستلزم ذلك بَعثة ربانيَّة تُعيد البشريَّة إلى مَسارها، وتقوِّم ما اعْوَجَّ مِن دينها، وما فسد من أخلاقِها ومُعاملاتِها، وما انحرفت فيه بأفهامِها، فكانت دَعوةُ التغيير والإصلاح، ودعوة البناء والهداية، ودعوة الخير والرَّشاد - دعوةَ الإسلام؛ ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

فبدأ التكوين النبوي لجيل هذه الدعوة، ورعيلها الأول من خيار الصحابة - رضي الله عنهم - وكان ذلك باصطفاء مَن يدعوهم للإسلام، وقوة تأثيرهم على أفراد ذلك المجتمع الجاهلي.

يقول أبو الحسن الندوي - رحمه الله تعالى -: "لقد وضع محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم -مِفتاحَ النبوة على قفل الطبيعة البشرية، فانفتح على ما فيها من كنوز، وعجائب، وقوى، ومواهب، أصاب الجاهليةَ في مقتلها أو صميمها، فأصمى رميتَه، وأرغم العالم العنيدَ بحول الله على أنْ ينحوَ نَحوًا جديدًا، ويفتتح عهدًا سعيدًا، ذلك هو العهد الإسلامي، الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ"[٦].

فقام النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - مُعلنًا عبوديةَ الله - تعالى - وحْدَه من دون الآلهة الباطلة، وصبر وثبت وأوذي كثيرًا، وظلَّ في دَعوته ومَنهجه، يدعو الناس، ويعلم الناس، ويذكر الناس، حتى قامتْ دعوتُه خَيْرَ قيام على ثرى المدينة المنورة، وما شرع الجهاد في سبيل الله - تعالى - إلاَّ بعد هذا الميدان الكبير من الدَّعوة الخالصة، والصَّبْر على عنت أهْل الكُفر وضلالهم.

والمشككون في هذا الطريق اليومَ ليسوا على شيء؛ لأنَّ التاريخَ خيرُ شاهِد، والقرآن والسنة خيرُ دليل، والواقع الأليم اليومَ يُثْبِت كلَّ ذلك، فلا سبيلَ اليوم إلا طريق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصلحين السابقين من الأنبياء والمرسلين، وفي مُقَدِّمتهم النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأصحابه - رضي الله عنهم.

وبعد هذا أقول لكم يا شباب الإسلام:

يجب علينا إذًا - أيها الشباب - أنْ نَخوض الطريق من أوله، لا من آخره، وأن نسلكَ طريق التربية والبناء نحو تغيير واقعِ أُمَّتِنا اليوم وإصلاحها، وحسبكم في ذلك أنَّه طريقُ الأنبياء والمرسلين، والدُّعاة والمصلحين، وحسبكم أنَّه الطريقُ الأوحد، الذي سلكه النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - في تبليغ دعوته، وبناء أمته، وإقامة دولته.

وهذا رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يرسم الطريق لأصحابه - رضي الله عنهم - أيضًا، ويخط لهم معالِمَه، ويُؤصِّل لهم منهاجه، كما جاء في الحديث عن معاذ وابن عباس - رضي الله عنهما -: ((إنَّك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنَّ اللهَ قد فرض عليهم خمسَ صلوات في كلِّ يوم وليلة، فإنْ هُم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخَذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك، فإيَّاك وكرائم أموالهم، واتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))؛ [رواه النسائي والترمذي، وصححه الألباني في "صحيح الجامع": ٢٢٩٦].

فالواجبُ علينا بعد هذا أنْ نسلُكَ مسلك التربية والبناء لأنفسنا، وأن يكونَ لدينا منهجٌ عمليٌّ صحيح، نأخذ به، ونسترشد بأصولِه ومَعالِمِه، ونسير عليه حتى يأذنَ الله - تعالى - لنا بفجر من التمكين الموعود؛ لتَحقيقِ العبودية له وَحْدَه - سبحانه -: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*** حاجتنا إلى منهج الإسلام في البناء والتربية:**

ونحن - أيُّها الشباب - في حاجة إلى منهجٍ تربوي صحيح، وفي حاجةٍ إلى مَنهج الإسلام الهادي، وشبابنا اليوم في حاجة إلى مَنهج القرآن والسنة؛ للخروج من هذه الفتن الحالكة المحيطة بهم، والأهواء والأفكار الباطلة من حولهم، والمغريات والمستغربات، من الشهوات والشبهات الباطلة، وذلك لعدة أسباب منها:

١- أنَّ الشباب المسلم في حاجةٍ مُلِحَّة وماسة إلى منهجٍ يُصحح لهم عقائدهم وأخلاقَهم، التي ربَّما يشوبها شيء من الشُّبهات والانحرافات؛ بسبب تعدُّد مناهج التربية، وربَّما تناقُضها كثيرًا، واضطرابها في عرض تصوُّر صحيح عن مفاهيم العقيدة الإسلامية ومَباحثها، وبيان سُبُل الوقاية من خطر الزيغ والانحراف عنها.

ذلك أنَّنا نرى حولَنا من الفِرَق والمذاهب المختلفة والمتناقضة، وهي اتِّجاهات مُعادية ومُحاربة للإسلام وشريعته، فمنها ما هو عَلماني مادي، ومنها ما هو فكري تصوري، ومنها ما هو وجودي إلحادي، ومنها ما هو مُتحلل إباحي، وهكذا مَخاطر كثيرة ومُتعددة المناهج والمعتقدات.

وقد تكون هذه الاتجاهات من الجماعات المحسوبة على الاتجاه الإسلامي والدعوي، إلاَّ أنها لم تأخذ منهجًا صافيًا واضحًا، في عَقيدتها ومنهجها وتصوُّرها نحو الإسلام، فنراها تَجمع في صفوفها بين المتناقضات، فيُحدث هذا نوعًا من الخلل في التربية والتلقي لمنهج الإسلام الصحيح، كما أنَّه يُحدث أنواعًا من الضَّعف في الصف الإسلامي.

وجُلُّ هذه الفرق والمذاهب فيها ما فيها من مَزالق الانحراف والزَّيغ ما حذَّر الله - تعالى - منه ورسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم، وحينما ترى شابًّا في مُقتبل عمره يَعتنق مَذهبًا منها يأسف القلب كمدًا عندها؛ لما وصل إليه هذا وغيره من هذا الخَلَل والانحراف عن التصور الصحيح عن الكون والحياة وعن الدين والإله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا رَيْبَ أنَّ العاصمَ من كلِّ ذلك مُلازمة منهج القرآن الصحيح الصافي، الذي جعله الله - تعالى - عِصْمَةً من كل ضلالة وزيغ وفتنة، وفي مُتابعة السنة النبوية: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

٢- مكر الأعداء بشباب الأُمَّة الإسلامية، والكيد لهم في الليل والنهار؛ بُغيةَ إفسادهم وإبعادهم عن حقيقة دينهم ومَحاسنه السامية، وما كل ذلك إلا ليتمكنوا من خلق أجيال تنتسب إلى الإسلام شَكلاً، ولا تعرفُ عن حقيقة الإسلام شيئًا يُذكر، ومن ثَمَّ تُحقق أمثال هذه الأجيال مآرب الأعداء، بلا جهد منهم ولا مَشقة ولا عناء، فتنقلب مَوازينُ الأخلاق والقيم في النفوس، ويصبح الحال كما قال القائل:

مَا كَانَ فِي مَاضِي الزَّمَانِ مُحَرَّمًا ... لِلنَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ مُبَاحُ
صَاغُوا نُعُوتَ فَضَائِلٍ لِعُيُوبِهِمْ ... فَتَعَذَّرَ التَّمْيِيزُ وَالإِصْلاَحُ
فَالْفَتْكُ فَنٌّ وَالخِدَاعُ سِيَاسَةٌ ... وَغِنَى اللُّصُوصِ بَرَاعَةٌ وَنَجَاحُ
وَالعُرْيُ ظُرْفٌ وَالْفَسَادُ تَمَدُّنٌ ... وَالْكِذْبُ لُطْفٌ وَالرِّيَاءُ صَلاَحُ

ولا ريبَ أنَّ هؤلاء ناصبوا الأمةَ العداء والكيد، بكثير من غرسِ الشَّهوات المنحرفة في النفوس، من حُبِّ جمع الأموال والثَّروات، من خلال صُورٍ اقتصادية وتِجارية، لا تَعرِف الإسلامَ في تعامُلها ولا تِجارتها، فتأكل من الرِّبا والغش والاحتيال بصُورٍ كثيرة.

وكذلك فتحهم لأسباب الانحراف، وحُبِّ الشهوات المحرمة من الإباحية، وحب النساء، بلا ضوابطَ أو قيود، تنظم للناس معاشهم، وتَحفظهم من الوقوع في حمأة الشَّهوات الجارفة، والفتن والرذيلة، ففتحوا دورَ السينما، والأفلام الفاجرة، والأغاني الهابطة، ولا يزالون يضربون على هذا الوتر إلى اليوم، مع نفث شيء من المسكرات والمخدِّرات؛ لإضعاف الأبدان عن التطلُّع إلى العافية واليقظة، والدِّفاع عن الأوطان والدين والشريعة، والجهاد في سبيل الله تعالى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يعني هذا أيضًا أنَّنا نُلقي بالتَّبِعَة والواقع المتردي - اليومَ - على أعدائنا؛ لنبرِّئ أنفسنا وأمتنا من أخطائها الكبيرة في واقعنا المعاصر، كلاَّ، لكننا نؤكد على سُنَّةٍ من سنن الله الجارية في الصراع بين الخير والشر، والإيمان والكفر، وقد أكَّد ذلك ربنا في عِدَّة مواضع من القرآن، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

فهل بعد هذا البيانِ بَيان؟ وهل بعد هذا البُرهان برهان؟ إلاَّ أنه لا يقع ذلك من أعدائنا، إلاَّ في حالةِ تَضييع شرائع الإسلام والعمل بها، وفي غَفلة المسلمين وأَمْنِهم مكرُ أعدائهم.

وقد جاء في السنة النبوية ما يؤكِّد هذا الصراع أيضًا، كما أخبر بذلك النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - منذ ألف وأربعمائة وثلاثين سنة في حديث القصعة المشهور والمحفوظ، فقد روى الإمام أحمد في "مسنده" عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((يوشِك أن تداعَى عليكم الأمم من كلِّ أفق، كما تداعَى الأكلة على قصعتها))، قلنا: يا رسول الله، أمن قلَّة منَّا يومئذ؟ قال: ((أنتم يومئذ كثير، ولكنَّكم غُثاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كغُثاء السيل، تُنزَع المهابة من قلوبِ عدوِّكم، ويُجعَل الوهن))، قالوا: وما الوهن؟ قال: ((حبُّ الدنيا وكراهة الموت)).

وها نحن اليوم نرى تلك الهجمة الشرسة الجديدة من أعداءِ الله ورسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - من الشيوعية المادية المُلحِدة، والصهيونِيَّة العالمية الماكرة، والصليبية الجديدة الخادعة، وغيرهم من العُملاء والأذناب.

وكما قال صاحبُ كتاب "حتى يعلمَ الشباب": "إنَّ المخططات التي تُتَّخذ في أوكار الصهيونية، والماسونية، والصليبية، والشيوعية... كلُّها تستهدف إفسادَ المجتمعات الإسلامية عن طريق الخمر، والجنس، وإطلاق العنان للغرائز والشَّهوات، والجري وراء المظاهر، والتقليد الأعمى...

والمرأة عند هؤلاء هي أول الأهداف في هذه الدعوة الإباحية، والميدان الماكر، فهي العُنصر الضعيف العاطفي، الذي ينساق وراء الدعاية والفتنة بلا رَوِيَّة ولا تفكير، وهي ذات الفعالية الكبيرة، والتأثير المباشر في إفساد الأخلاق".

يقول كبير من كبراء الماسونية الفجرة: "يَجب علينا أن نكسب المرأة، فأي يوم مدت إلينا أيدِيَها، فُزْنَا بالحرام، وتبَدَّد جيشُ المنتصرين للدين".

ويقول أحدُ أقطاب المستعمرين: "كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حبِّ المادة والشهوات".

وجاء في "بروتوكولات حكماء صهيون" ما يلي: "يَجب أن نعملَ؛ لتنهارَ الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا، إنَّ "فرويد" منا، وسيظلُّ يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس؛ لكي لا يبقى في نظر الشباب شيءٌ مقدس، ويصبح هَمُّه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه...".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن وراء هذه القوى المعادية والتخطيط المدمر - اليهود؛ فهم الذين آلَوْا على أنفُسِهم أنْ يتبنوا كلَّ باطل من الآراء الفكرية في مَجال ما وراء الطبيعة، وفي مَجال الأخلاق، وفي مجال تحطيم القيم الدينية غير اليهودية؛ ليُفسدوا العالم في عقيدته وفكره وأخلاقه.

وليتمكنوا من وراء ذلك من قيادته، واستعباده، والسيطرة عليه، ولقد أعلن اليهودُ في بروتوكولاتهم أنَّهم يعملون جاهدين لإفساد الضَّمائر البشرية عن طريق التشكيك في الأخلاق والعقائد، ويعملون جاهدين لإفساد العقول عن طريق تزييف الحق، وترويج الباطل، ويتبنون شخصيات إبليسِيَّة ماكرة خبيثة تدعو إلى هدم العقيدة الدينية تارة، وهدم الأخلاق تارة أخرى.

بل قد وصل الأمر باليهود أنْ رَسَموا لإفساد الإنسانية مَنهجًا، أخذوا في تنفيذه عن طريق وسائل الإعلام، ودور النشر، وعن طريق المسرح والسينما، والبرامج الإذاعِيَّة والتلفزيونية، وعن طريق كل عميل خائن، وكاتب مأجور؛ لتتِمَّ لهم القيادة الفكرية، والنفسية، والفلسفية في العالم كله، فعلينا أنْ نعلمَ أن التخنُّث في شبابنا، والفجور في نسائِنا، وانتشار الخمر، والعهر، والقمار، والميوعة في بلادنا - هو من مخططات اليهود.[٧]

وبهذا - أيها الشباب - نُدرك خطر مكر أعداء الأمة الإسلامية، وخطر ما يسوقون العالم إليه، وقد قال القائل:

مُؤَامَرَةٌ تَدُورُ عَلَى الشَّبَابِ ... لِيُعْرِضَ عَنْ مُعَانَقَةِ الْحِرَابِ
مُؤَامَرَةٌ تَقُولُ لَهُمْ تَعَالَوْا ... إِلَى الشَّهَوَاتِ فِي ظِلِّ الشَّرَابِ
مُؤَامَرَةٌ مَرَامِيهَا عِظَامٌ ... تُدَبِّرُهَا شَيَاطِينُ الْخَرَابِ

٣- ونحن في حاجةٍ ماسَّة أيضًا إلى منهجِ الإسلام التربوي؛ بسببِ اضطراب مَناهج التربية نفسها، فالمناهجُ التربوية اليوم متَخَبِّطة كثيرًا، ومتأثِّرة بالغرب، والولع بتقليده، في كل ما يأتي به، حقًّا كان أم باطلاً، صوابًا كان أم خطأً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- ونحن في حاجةٍ ماسَّة لمنهج الإسلام؛ لأنَّه هو المنهج التربوي الشامل، الكامل، والمحفوظ من كل تغيير، أو تحريف، أو تبديل، أو نقص، أو خلل، ولأنَّه المنهج المنزل من عند الله - تعالى - الذي يعلم النفسَ البشرية، ويعلم ما يهذبُها ويصلحها، ويعلم ما ينفعها ويضرها، ويعلم ما يهديها ويقومها، وما يغويها ويشقيها، ولأنَّه ليس من عند أفكار أو تصورات قاصرة، وليس من عند مناهج بشرية تُغلِّب النفسَ وشهواتِها على مرضاة ربها وموجدها، أو تُغلِّب العقلَ على الوجدان، أو الوجدان على العقل، أو على العاطفة وهكذا، لكنَّه منهجُ الله وحْدَه، الذي أقام به وفيه كل مقومات البناء العقدي، والأخلاقي، والتعبُّدي، والحياتي، كلها على أحسن وأكمل وجوهِها، بل كان ذلك واقعًا مرئيًّا وبشريًّا، أقامه الله وجعله حقًّا في حياةِ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأصحابه - رضوان الله عليهم - فحملوا هداياته وإشراقاتِه، وعلومه وأخلاقه، وتشريعاته الكاملة الشاملة، ففتحوا به الدنيا، ونالوا به حسن الثواب في الآخرة، فما أجله وأكرمه من منهج رَبَّاني محفوظ؛ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

٥- وكذلك جهل كثير من المسلمين بمحاسن الشَّريعة الإسلامية، وبما جاءت به، من الحثِّ على مكارم الأخلاق، والإعلاء من شأن أصحابِ الأخلاق الحسنة عند الله - تعالى - في الدنيا والآخرة.

٦- وكذلك حب الدنيا، والانغماس في طلبها، واللهث الدَّائم خلفها؛ بُغية الطمع فيما لا يدوم ولا يبقى، ولكنه الشيطان وشهوات النفوس الزائغة عن الرضا بما قسم الله - تعالى - من أجل ذلك يبيع كثيرٌ من الناس أخلاقَهم ومبادئَهم بالسبِّ والشتم واللعن والكذب والغش والظُّلم؛ بُغيةَ جَمع شيء من حطام الدُّنيا الفانية.

لكل هذه الأسباب وغيرها نَحن في حاجة إلى منهج تربوي عاصم، منهجٍ فيه الجمع بين خيري الدُّنيا والآخرة، وفيه المفاهيم العقدية الصحيحة عن الكون والإنسان والحياة،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفيه الوقاية من الانحراف والفساد الأخلاقي، مع تَهذيب النفس، والارتقاء بها إلى حيث مكانة الإنسان السامية.

وكل ذلك جاء به القرآن المنزل على قلب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - جاء بمنهاجه القويم، الذي أخرج به الناس من الظُّلمات إلى النور، وهداهم إلى مَعرفة خالقهم وعبادته وحْدَه لا شريك له، وفتح لهم به الدُّنيا وخيراتها وكنوزها، تحت سيف الجهاد في سبيل الله وحْدَه، وليس في سبيل الدُّنيا القليلة الفانية، وجاء بالعلم، وكشف مغاليق الكون والحياة، والكثير مما لم يكن يعلمه الإنسان، لولا هداية الله - تعالى - وحْدَه، فحكموا الدنيا، وصاروا أسيادَها وقادتها، فهل لنا إليهم من سبيل؟

وصدق الله - تعالى - إذ يقول في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

* * *

*** الغاية المنشودة من التربية:**

ثم عليكم - أيها الشباب - أنْ تعلموا أنَّ الغايةَ المنشودة من التربية والبناء للفرد والمجتمع، بعد بناء المجتمع الإسلامي الفاضل - إنَّما تكمُن في غايات عظيمة:

الأولى: في تحقيق العبودية لله - تعالى - في الأرض.

الثانية: الاستحقاق للخلافة الموعودة، والتمكين للأمة الإسلامية.

الثالثة: دفع عذاب الله - تعالى - عن الأمة والمجتمع.

أمَّا غاية تَحقيق العبودية لله - تعالى - قد أكَّد الله على هذه الغاية الجليلة في كتابه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال السعدي – رحمه الله –: "هذه الغاية، التي خلق الله الجنَّ والإنس لها، وبعث جميع الرُّسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن مَعرفة الله – تعالى – فإنَّ تَمام العبادة متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفةً لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم"[٨].

وقال الشنقيطي – رحمه الله –: "التحقيقُ – إن شاء الله – في معنى هذه الآية الكريمة ﴿ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي: إلاَّ لآمُرهم بعِبادتي وأبتليهم؛ أي: أختبرهم بالتكاليف، ثم أجازيهم على أعمالهم، إنْ خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وإنَّما قلنا: إنَّ هذا هو التحقيق في معنى الآية؛ لأنَّه تدل عليه آياتٌ مُحكمات مِن كتاب الله، فقد صرَّح تعالى في آياتٍ من كتابه أنَّه خلقهم؛ ليبتليَهم أيهم أحسن عملاً، وأنَّه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم.

قال تعالى في أولِ سورة هود: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود: ٧]، ثُم بيَّن الحكمة في ذلك، فقال: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [هود: ٧].

وقال تعالى في أول سورة الملك: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

وقال تعالى في أول سورة الكهف: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأرض زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الكهف: ٧] الآية.

فتصريحه – جل وعلا – في هذه الآيات المذكورة بأنَّ حِكمةَ خلقه للخلق هي ابتلاؤهم أيهم أحسن عملاً، يفسر قوله: ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾"[٩].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذا تَحقَّقت العبادةُ ابتداءً، وقام المسلمون بحقِّها قَدْرَ الاستطاعة، تَحَقَّق لهم وَعْدُ الله - تعالى - ورسوله بالظهور والتمكين، والعزِّ والسيادة.

وأمَّا التمكينُ الموعود بتحقيق مقام العبودية لله - تعالى - فإنه قادمٌ بأمر الله لا مَحالة؛ لقول الله - تعالى -: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وقد روى الإمامُ أحمد عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه-قال: "كنا جلوسًا في المسجد، فجاء أبو ثعلبة الخشني، فقال: يا بشير بن سعد، أتحفظ حديثَ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - في الأمراء؟ فقال حذيفة:أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة:قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريَّةً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت))".

والذي عليه كثيرٌ من أهلِ العلم اليومَ أنَّ الملك الجبري يدخُل فيه هذه الحقبة الزَّمنيَّة، التي تَمُرُّ الأمة الإسلامية بها الآن، وأنَّ اللهَ - تعالى - جاعِلٌ للأمة الإسلامية طَريقًا للعودة لهذه الخلافة الراشدة على منهاج النبوة الأولى.

والخلافة الإسلامية والتمكين تعني:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التمكين للمؤمنين المتبعين للكتاب والسنة، والسائرين على طريق الصَّحابة والسلف الصالح من بَعدهم، والتمكين لهم بأَنْ يُقيموا العقائدَ والشعائر والشرائع التي أمر الله - تعالى - بها ورسوله في جميع مَجالات الحياة البشرية.

والتمكين لهم بالإعلان عن عُبودِيَّتِهم لله وحْدَه لا شريكَ له في حُكمه ولا في أمره، في حرية كاملة دون خوف من الطُّغاة أو الظالمين، أو وَجَلٍ من أعْداءِ الله المُتربِّصين والمنافقين.

والتمكين لهم أن يَملكوا زمامَ قيادة العالم من جديد، كما كانوا في القرون الماضية، وأنْ يفتحوا قلوبَ العالمين بنُورِ هذا الدين الحق، ويفتحوا كنوزَ الأرض وخيراتِها بالجهاد في سبيله وحْدَه، وإعلاء كلمة دينه، والتمكين لهم بأن يَحكموا الناس بشريعة الله، وأنْ يَرفعوا ظلمَ الظالمين، وفسادَ المفسدين، وأن يقيموا ميزانَ الحق والعدل بين الناس بما أنزل الله - تعالى - وأن يرفعوا عنهم الذُّلَّ والمهانة، التي طالما عاشوا فيها سنينَ طويلة، يَذِلُّون فيها لأعداءِ الله من اليهود والنصارى والمنافقين، ويُحَكِّمون قوانين الظلم والجور بين العالمين.

إنَّ الخلافةَ تعني الكثير والكثير من تَحرير البشرية كلها من قبضة الطُّغاة والمنافقين، الذين يُحاربون شريعةَ الله ومنهجه، وتَحريرها من أن تذل لغير خالقها ومُوجدها، وأنْ تَستمد أحكامَها وشرائِعَها إلاَّ من منهاج ربِّها وشريعته الإسلامية.

وهذه الخلافةُ قادمة لا مَحالة، ولكنَّها تأتي بالتربية والبناء، وبذل الجهود، وإعداد العُدَّة، وتطهير القلوب، وتزكية النُّفوس، واستعلاء الإيمان في قلوب أصحابه، إنَّها قادمة بإذن الله، ولكن بالسنن التي تعمل في الكون والحياة، وليس بترك الدَّعوة والتخاذُل عن نُصْرة الإسلام والمستضعفين في الأرض، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وجاء في الحديث: ((لا تزال طائفة من أمتي قَوَّامَة على أمر الله، لا يضرها من خالفها))؛ [أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني: ٤/ ٦٠٣].

وفي روايةٍ لأحمد: ((لا تزال أُمَّةٌ مِن أمتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرهم مَن خالفهم حتى يأتِيَ أمر الله وهم ظاهرون على الناس)).

وعن جابر قال: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة))، قال: ((فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضَكُم على بعض أمراء؛ تَكْرِمَةَ الله هذه الأُمَّةَ))؛ [رواه مسلم].

وفي حديثٍ آخر لمُسلم: ((لا تزالُ عصابة من أمتي يُقاتلون على أمرِ الله قاهرين لعدُوِّهم، لا يضرُّهم مَن خالفَهم، حتى تأتِيَهم الساعة وهم على ذلك))، فالصبرَ الصبر، والثباتَ الثباتَ، حتى يأتي وعدُ الله لكم.

وأما الغاية الثالثة: فهي دفع وقوع العذاب والعقاب من الله - تعالى - لأَنَّ الأمة الإسلامية لا تزال بخير ما أَمَرت بالمعروف، ونَهت عن المنكر، وإلا حَقَّ بها وعيدُ الله - تعالى - ما حق على الأمم التي عَصَتِ الله من قبلُ، وخالفتْ أمرَ رُسُله، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٦ - ١١٧].

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* الهامش:

---

[١] "تيسير الكريم الرحمن" (٦٦٧).

[٢] "جامع البيان"؛ (٢٠/ ٢٨١).

[٣] "أنوار التنزيل"؛ لناصر الدين البيضاوي.

[٤] "زاد المسير"؛ لابن الجوزي.

[٥] "صحيح السيرة النبوية"، للألباني.

[٦] انظر: "ماذا خسر العالم"، لأبي الحسن الندوي (٨٢).

[٧] "حتى يعلم الشباب"، عبدالله علوان، بتصرف.

[٨] انظر: "تفسير السعدي"، تفسير سورة الذاريات.

[٩] انظر: "أضواء البيان"، تفسير سورة الذاريات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

الحرص على طلب العلم النافع والفقه في الدين

*** فضيلة طلب العلم:**

ومن أهمِّ ما ينبغي عليكم أيها الشباب:

الحرص على طلب الفقه والعلم النافع؛ لأنَّ طلب العلم يُصحِّح أخطاءنا في فهم المنهج، ويبصرنا بالطريق، ويُرشدنا للصَّواب، ويجنبنا العثرات والعقبات، ويدلنا على سعادةِ الدَّارين، وحسبكم بشرف العلم وأهله فضيلة ومكانة.

إنَّ طلب العلم أيها الشباب فريضة واجبة على كل مسلم، كل على قدر استطاعته وضرورته؛ لأَنَّ الله - تعالى - افترض علينا في شريعة الإسلام أركانًا وواجبات، وسننًا ومُستحبات، ولا تتم هذه الفرائض والواجبات إلا بالتعبُّد الصحيح بها، والقيام بحقها، ولا يكون ذلك إلا بطلب العلم بها، ومعرفة شروطها وأركانها، وتمييز الواجبات والشرائع عن بعضها.

كما أنَّ الإسلامَ جاء بعمارة الدنيا لإقامة الدين؛ قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]، ولا يكون ذلك أيضًا إلا بالعلم وطلبه.

ونحن إذا تأمَّلنا آيات القرآن، وجدنا أنَّ اللهَ - تعالى - في أول ما أنزل على رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يأمرنا بطلب العلم النافع بمعناه الواسع الشامل للعلم الشرعي وغيره ما كان نافعًا؛ فقال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥]، وقال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما أنَّ الله – تعالى – فرَّق بين العالم وغيره، وجعل لكل واحد مكانة تليق به، وفضل العالم على غيره؛ فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

كما أنَّ الله – تعالى – جعل لطلبة العلم وأهله درجاتٍ عاليات عنده – سبحانه – فقال: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١]، وصدق القائل:

تَعَلَّمْ فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ ... وَفَضْلٌ وَعُنْوَانٌ لِكُلِّ الْمَحَامِدِ
تَفَقَّهْ فَإِنَّ الْفِقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٍ ... إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعْدَلُ قَاصِدِ

* * *

*** العلوم الشرعيَّة أفضل العُلوم على الإطلاق:**

لكن يَجِب عليكم أنْ تعلموا أنَّ أفضلَ العلوم على الإطلاق العلوم الشرعية، المتعلِّقة بمسائلِ الدين من الإيمان والتوحيد، والفقه في العبادة والمعاملة، والأخلاق والسلوك، وأمَّا سواها فمطلوبة ومُستحبة ما دَلَّت على عبادة الله – تعالى – ومعرفة آياته وقدرته، وما كان المسلمون في حاجة ماسَّة إليها؛ قال الله – تعالى –: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

وقد ثبت عنه – صلَّى الله عليه وسلَّم – في الصحيحين في حديث معاوية – رضي الله عنه – أنه – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((مَن يُرد اللهُ به خيرًا، يُفقهه في الدين)).

وقال الإمام الذهبي – رحمه الله –:

مَا الْعِلْمُ نَصْبُكَ لِلْخِلاَفِ سَفَاهَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ
الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ بِالتَّمْوِيهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد اصطلح أهل العلم على تسمية مثل هذه العلوم، فيقال: علم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه والفرائض، وعلم العقيدة والتوحيد، وهكذا.

* * *

*** الفقه في الدين وأهميته وفضيلته:**

كما يَجب عليكم أيها الشباب أنْ تعلموا أنَّ طلب الفقه في مسائل الدين من الأهمية والفضيلة بمكان؛ لأنَّ الله - تعالى - بَيَّنَ فضيلة أهله في كتابه؛ فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وحسبكم - يا شباب الإسلام - بهذه الآية شرفًا في بيانِ فضيلة العلم والفقه في الدين، وقد قال فيها الإمام الشوكاني - رحمه الله -: "والمعنى: أنَّ الطائفةَ من هذه الفرقة تَخرج إلى الغزو، ومن بَقِيَ من الفرقة يقفون لطلبِ العلم، ويُعلِّمون الغُزاةَ إذا رجعوا إليهم من الغزو، أو يذهبون في طلبه إلى المكان الذي يَجدون فيه مَن يتعلمون منه؛ ليأخذوا عنه الفقه في الدين، وينذروا قومهم وقتَ رجوعهم إليهم.

وذهب آخرون إلى أن هذه الآية ليست من بقية أحكام الجهاد، وهي حكم مستقلٌّ بنفسه في مشروعية الخروج لطلب العلم، والتفقه في الدين، جعله الله - سبحانه - متصلاً بما دلَّ على إيجاب الخروج إلى الجهاد، فيكون السفر نوعين: الأوَّل: سفر الجهاد، والثاني: السفر لطلب العلم.

ولا شكَّ أن وجوب الخروج لطلب العلم إنَّما يكون إذا لم يجد الطالب مَن يتعلم منه في الحضر من غير سفر، والفقه: هو العلم بالأحكام الشرعية، وبما يتوصل به إلى العلم بها من لُغَةٍ ونحو، وصرف وبيان وأصول"[١].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلك قال الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسيره: "هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم؛ لأَنَّ المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة، والنبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – مقيم لا ينفر، فيتركوه وحْدَه، ﴿ فَلَوْلاَ نَفَرَ ﴾ بعدما علموا أنَّ النفير لا يَسَع جميعهم ﴿ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ ﴾، وتبقى بقيتها مع النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – ليتحملوا عنه الدين ويتفَقَّهوا، فإذا رجع النافرون إليهم، أخبروهم بما سَمِعوه وعلموه، وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة، وأنَّه على الكفاية دون الأعيان، ويدل عليه أيضًا قوله – تعالى – : ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، فدخل في هذا مَن لا يعلم الكتاب والسنن"[٢].

وكذلك قال السعدي – رحمه الله تعالى –: "﴿ لِيَتَفَقَّهُوا ﴾؛ أي: القاعدون ﴿ فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾؛ أي: ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانِيَه، ويفقهوا أسرارَه، وليعلِّموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصًا الفقه في الدين، وأنَّه أهم الأمور، وأن من تعلم علمًا فعليه نشرُه وبَثُّه في العباد، ونصيحتهم فيه، فإنَّ انتشارَ العلم عن العالم من بركته وأجره، الذي يُنَمَّى له"[٣].

وكذلك لو تأمَّلنا السنةَ النبوية لَوَجدنا أنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – بَيَّن فضيلة طلب العلم والفقه في الدين وضرورته، فقد روى الشيخان عن معاوية – رضي الله عنه – عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنَّه قال: ((مَن يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما أنا قاسم والله يعطي)).

وكذلك جاء بسند حسن وصححه الألباني عند ابن ماجه عن معاوية بن أبي سفيان يحدث عن رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنَّه قال: ((الخير عادة، والشَّرُّ لجاجة، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يفوتنا أن نذكر دعوةَ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - لابن عباس - رضي الله عنهما - بالفقه في الدين؛ حيث قال: ((اللهم فقهه في الدين، وعلِّمه التأويل)).

فعن عبد الله بن عباس قال: "أصاب رجلاً جرحٌ في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم احتلم، فأُمِرَ بالاغتسال، فاغتسل فمات، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ((قتلوه قتلهم الله، ألَمَ يكن شفاء العِيِّ السؤال))"؛ حديث حسن، [رواه أبو داود وحسنه الألباني].

وجاء في الحديث: ((مَن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سَهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة))؛ حديث حسن، [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: "قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم، فقولوا لهم: مرحبًا بوصية رسول الله وَأَقْنُوهم - علموهم))، وفي رواية أخرى: ((وأفتوهم))"؛ [أخرجه ابن ماجه بسند حسن].

وقد روى الشيخان عن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((إنَّ مَثَلَ ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمَثَلِ غَيْثٍ أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنَّما هي قيعان، لا تُمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقِهَ في دين الله، ونَفَعه الله بما بعثني الله به، فعلِم وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدَى الله الذي أرسلت به)).

فمِن هذه النُّصوص وغيرها نُدرك فضيلةَ طلب العلم والتفقه في مسائل الشريعة، وضرورة ذلك، وقد قال عليٌّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - لكميل بن زياد: "يا كميلُ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلمُ خَيْرٌ من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق".

وقال:

مَا الْفَخْرُ إِلاَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ ... عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلاَّءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا ... فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

وقال أيضًا - رضي الله عنه -: "قيمة كلِّ امرئ ما يحسنه".

* * *

*** المنهجية في طلب العلم وآدابه:**

وهذه مسألةٌ مُهمة وجليلة؛ لأنَّنا كثيرًا ما نرى بعضَ الشباب يتخبَّطُ في هذا الطريق، ولا يُحسن التعامُل معه، فيكون حظُّه من الفقه قليلاً وضعيفًا، ويكون طلبه له أقلَّ وأضعف، فلا يُحَصِّل منه الكثير، وإن حَصَّل شيئًا فقد لا تكون لديه مَلَكَة العلم والتأصيل الفقهي، فنجد عنده مسائل كثيرة، لكنَّه لا يستطيع جمعها تحت أي قاعدة علمية، أو رابطٍ يربط بينها.

وهذه مُشكلة تُواجِه الكثير من شبابنا اليوم، ممن لا يُجالسون أهلَ العلم والفقه، أو ينصرفون قليلاً عن الطلب، فتضعف هِمَمُهم، وتفتر عزائمُهم، ويقل طلبهم واطلاعهم.

وهنا نقول:

إنَّ طلبَ العلم والفقه في الدين أمرٌ جليل، ويَحتاج إلى صبر وجِدٍّ ومُعاناة في أول طلبه، إلا أنه سُرعان ما يستقيم مع صاحبه إذا أحسن الطلب، وضبط القواعد والأصول، وجَدَّ واجتهد، ودَوَّن وحَفِظ، وفَرَّع وقَسَّم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحتى يتمكنَ الشبابُ المسلم من تَحصيل العلم، فعليهم بعدة أمور:

الأول: عُلُوُّ الهمة في طلب الفقه وتَحصيله، مع الإخلاص لله – تعالى – في طلبه؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وفي الحديث الصحيح المشهور عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه))؛ [رواه الشيخان].

وروى ابنُ ماجه في سننه بسند حسن عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم –: ((مَن تعلم العلم؛ ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء، ويصرف به وجوهَ الناس، أدخله الله جهنم)).

الثاني: أن يَنويَ بطلبه رَفْعَ الجهالة عن نفسه أولاً، ثُمَّ بعد تَحصيله يقوم بتعليم وإرشاد المسلمين وتوجيههم لما فيه الخير والرشاد، وكان عبدالله بن المبارك يقول: "أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر".

وقيل للإمام أحمد بن حنبل: "إنَّ قومًا يكتبون الحديث، ولا يُرى أثره عليهم، وليس لهم وقار. فقال: يؤولون في الحديث إلى خير".

وعن الضحاك بن مزاحم قال: "أول باب العلم: الصمت، والثاني: استماعه، والثالث: العمل به، والرابع: نشره وتعليمه".

الثالث: التفرغ للطلب والتعلُّم؛ لأَنَّ صاحِبَ الأعمال والشواغل لن يستطيعَ التفقه وحضور مجالس العلماء، والقراءة والاطلاع والبحث، إلاَّ إذا فَرَّغَ شيئًا من وقته وجهده، وإلا ما استطاع تحصيل أي شيء من العلم والفقه، وقد قيل: أعطِ العلم كُلَّكَ، يُعطِك بعضه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرابع: التلَقِّي الصحيح للعلم، وهذا إنَّما يكون بالأخْذ عن الشيوخ والعلماء، وليس من بطون الكتب بدون شيخ أو معلم، أو أصول أو قواعد، فإن عجز عن ذلك، ولم يستطع الوصول إلى العلماء ولا الطلب عليهم، فعليه بشروحهم الصوتية المسجلة، وكتبهم المدونة معها واستماعها، مع ضبط ما يسمعه بحُسن السمع والفهم والإصغاء، فإذا استشكل عليه أمرٌ، سأل عنه وعرف جوابه، حتى لا تَزُولَ قدمُه من حيث لا يدْري.

ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلم من صحفي، ولا القرآن من مصحفي، يعنى: لا تقرأ القرآن على مَن قرأ مِنَ المصحف دون شيخ مُلَقّن، ولا الحديث والفقه وغيره على مَن أخذ ذلك من الصُّحف، دون معلّم ومؤصل له.

قال أبو حيان:

يَظُنُّ الْغُمْرُ أَنَّ الْكُتْبَ تَهْدِي ... أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلُومِ
وَمَا يَدْرِي الْجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا ... غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ
إِذَا رُمْتَ الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ... ضَلَلْتَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَحْيَاءُ
وَتَلْتَبِسُ الْأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّى ... تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُومَا الْحَكِيمِ

الخامس: التدرُّج في طلب العلم، والحرص على المنهجية؛ لأَنَّ العِلْمَ لا يُؤخذ جُملةً واحدة، إنَّما يؤخذ بالتتابُع، وإلاَّ ما بقي منه شيء يذكر أو يعمل به، فمن أراد طلب العلم، فليأخذه خطوة وراء خطوة، وعلمًا بعد علم، فينتقل من علم إلى علم، ومن فن إلى فن، حتى تفتح له الأبواب، وتيسر له الأسباب.

أما القرآن: فليكن أولُ ما يبدأ به طالب العلم كتابَ الله - تعالى - فيحفظ القرآن، ويتعلق به، ويتلوه حَقَّ تلاوته، ويعمل بحلاله وحرامه، ويعمل بِمُحكمه، ويؤمن بمتشابهه، ويتعلم أحكامَ تَجويده وترتيله، وذلك على أيدي أهلِ هذا العلم من القُرَّاء والحفاظ المُتقنين له، كما يأخذ كتابًا في مَعرفة ما أشْكَل عليه من ألفاظ وكلمات؛ كـ"زبدة التفسير"؛ للأشقر، ثم يتوسع قليلاً في التفسير، فيبدأ بتفسير السعدي "تيسير الكريم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنان"، ثم بعده "تفسير ابن كثير"، فـ"فتح القدير" للشوكاني، و"أضواء البيان" للشنقيطي، ثم يقرأ في التفاسير المطولة كابن جرير الطبري.

أما علوم القرآن: فيبدأ بـ"أصول التفسير" لابن عثيمين، ثم "مقدمة في أصول التفسير" لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، ثم "مباحث في علوم القرآن" للقطان، كما يستعين بكتب الشيخ مساعد الطيار، فإنَّها جيدة في بابها، ثم يتوسع شيئًا فشيئًا، فيقرأ "الإتقان" للسيوطي، وهو من أشمل الكتب في علوم القرآن، والمعتمد عليه إلى اليوم، وكذلك "البرهان" للزركشي، و"مناهل العرفان" للزرقاني.

أما في الحديث وعلومه: فمن الممكن أن يبدأ بالأربعين النووية، ثُمَّ "رياض الصالحين"، ثم "بلوغ المرام"، ثم الصحيحين والكتب الستة، ثم يطالع شروحَ الحديث وما كتبه أهل العلم، ثم يتوسَّع.

وأمَّا في مصطلح الحديث: فيطالع ويدرس "البيقونية"، ثم "اختصار علوم الحديث" لابن كثير، فـ"النخبة" لابن حجر، فـ"تدريب الراوي" للسيوطي، وكذلك يطالع "مباحث في علوم الحديث" للقطان، ثم يتوسع بعد ذلك.

وأما في العقيدة والتوحيد: فيبدأ بالثلاثة الأصول، والقواعد الأربعة، ثم كشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد.

ثم يأخذ لُمعة الاعتقاد، ثم الواسطية، ثم الطحاوية، ويطلع على كتب أهل السنة في ذلك الباب، وقد سبق الإشارة إليها.

وأما في الفقه وأصوله: يبدأ بأخذ الفقه على أحد المذاهب الأربعة أولاً قبل التوسع؛ حتى يتصور مسائلَ العلم بوضعها الصحيح، وليكن على مذهب الحنابلة مثلاً، فيدرس مُختصر ابن قدامة "عمدة الفقه"، ثم يطالع بعده "الروض المربع شرح زاد المستقنع"، ثم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينتقل إلى "الكافي" لابن قدامة، فـ"المغني" له، وهكذا في كل مذهب؛ حتى تتكونَ عنده ملكة الفقه وآلته.

وأما أصول الفقه: فيأخذ في "الورقات" للجويني، و"منظومة القواعد الفقهية"، و"الأصول من علم الأصول" للعثيمين، ويتوسع بعد ذلك.

وأما في السيرة والتاريخ: فيبدأ مثلاً بـ"الرحيق المختوم"، ثم "الفصول في سيرة الرسول" لابن كثير، ثم "سيرة ابن هشام"، و"زاد المعاد" لابن القيم.

ويطالع كذلك "من أعلام السلف" لأحمد فريد، و"العواصم من القواصم" لابن العربي، ثم "سير أعلام النبلاء" للذهبي، و"البداية والنهاية" لابن كثير.

وأما في الأخلاق والآداب: فليكن أولُ ما يبدأ به "حلية طالب العلم"، فإنه جيد وقيم، ثم قراءة "مختصر منهاج القاصدين"، ويطالع معه "رياض الصالحين"، فإنَّه عظيمٌ في باب الآداب والأخلاق، وكذلك مُطالعة كتب ابن القيم، فإنَّها عظيمةٌ؛ كـ"الجواب الكافي"، ويقرأ "أخلاق حملة القرآن" للآجُرِّي، ثم "مدارج السالكين" لابن القيم، و"صيد الخاطر" لابن الجوزي، وكذلك "تلبيس إبليس".

وأمَّا في اللغة والأدب: فيبدأ في النحو بحفظ ودراسة "متن الآجُرُّومية"، ثم "قطر الندى"، ثم "شذور الذهب في معرفة كلام العرب"، ثم "شرح الألفية"؛ لابن عقيل.

ويطالع في البلاغة والشعر: "البلاغة الواضحة" للجارم، و"ديوان المتنبي بشرح العكبري".

وأما في الدعوة وفقهها: فيقرأ " الحكمة في الدعوة" لسعيد بن وهف القحطاني، و"مفهوم الحكمة في الدعوة" لصالح بن حميد، و"التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام" للعلامة الألباني، وكتب الشيخين ابن باز وابن العثيمين في الدعوة وما يتعلق بها، و"البصيرة في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للدعوة إلى الله" لعزيز بن فرحان العنزي، و"أصول الدعوة" لعبدالكريم زيدان، و"طريق المصلحين أو المنهج السلفي" لعاطف الفيومي، وغيرها من الكتب المعتمدة، وهي كثيرة بفضل الله.

ولا ننسى أن نلتفتَ إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فإنَّها عظيمة النَّفع، غزيرة التأصل والمعارف والعلوم، وكذلك كتب تلميذه الفذ ابن القيم، وكتب الحافظ ابن رجب الحنبلي، وكتب النووي وابن حجر العسقلاني وغيرهم كثير، ومن المؤلفات الجيدة النافعة مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وكذلك العلاَّمة المحدِّث الألباني، وابن باز، والعثيمين، وصالح آل الشيخ - نفع الله بعلمهم[٤].

هذا تصوُّر مُختصر لمنهجيَّة طلب العلم الشرعي والتفقُّه فيه، وإلاَّ فإنَّ الباب واسع ومهم، لكن ليس العلم بكثرةِ الكتب، وإنَّما العلم بالحفظ له، والفهم والعمل به، فقد ترى عالِمًا كبيرًا لا يَملك الكثير من أُمَّهات الكتب، إلاَّ أنَّه قد أحسن المطالعة والفهم لمسائل العلم، وتَصَوُّرها تَصوُّرًا صحيحًا، حتى تَمَكَّن منها، وأصبحت لديه مؤهلاتُ التصدُّر والكلام.

السادس: وهو أمر مهم لكل طالب أنْ يلزمَ آدابَ الطلب في نفسه، ومع شيخه، فيظهر عليه سَمْت أهل العلم والفضل، ويوصف بالأخلاق الكريمة، ويكون صاحب آداب سنية نبَوية، وصاحب همَّة عالية، وصاحب حفظ وفهم ومُذاكرة، ويعمل بعلمه، ولا يطلب به عَرَضًا من عرض الدنيا، ولا غرضًا من أغراضها القليلة، بل عليه أن يَجعل علمه وطلبه ابتغاءَ وجه الله - تعالى - وحْدَه.

وقد قال تعالى في صفة أهل العلم: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الإمام الشعبي: "إنَّما كان يطلب العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل، والنسك، فإن كان عاقلاً، ولم يكن ناسكًا، قال: هذا أمر لا يناله إلا النساك، فلن أطلبه، وإن كان ناسكًا، ولم يكن عاقلاً، قال: هذا أمر لا ينالـه إلاَّ العقلاء، فلن أطلُبَه - يقول الشعبي -: فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم مَن ليس فيه واحدة منهما لا عقل ولا نسك"[٥].

قال الإمام مالك: "حقٌّ على مَن طلب العلمَ أن يكون له وقارٌ، وسكينة، وخشية، والعلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله تعالى"[٦].

وهذه جملة من الآداب المهمة لطالب العلم:

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلاَّ بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَافْتِقَارٌ وَغُرْبَةٌ ... وَتَلْقِينُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانِ

وقال مالك بن أنس عالم المدينة المنورة: "نصف العلم لا أدري"، وقال ابن المنكدر: "العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل".

وقال الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -: "أنْ يعمل طالبُ العلم بعلمه عقيدةً وعبادة، وأخلاقًا وآدابًا ومعاملةً؛ لأنَّ هذا هو ثَمرةُ العلم وهو نتيجة العلم، وحامل العلم كالحاملِ لسلاحه، إما له وإمَّا عليه؛ ولهذا ثبت عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّه قال: ((القرآنُ حجة لك أو عليك))؛ لك إن عَمِلْتَ به، وعليك إن لَمْ تَعمل به، وكذلك يكون العمل بما صَحَّ عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - بتصديقِ الأخبار، وامتثال الأحكام، إذا جاء الخبر من الله ورسوله، فصدقه وخذه بالقبول والتسليم، ولا تقل: لِمَ؟ وكيف؟ فإنَّ هذا طريقةُ غَيْرِ المؤمنين، فقد قال الله - تعالى -: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]"[٧].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال أيضًا: "يتعيَّن على طالب العلم أن يبذلَ الجهد في إدراكِ العلم والصبر عليه، وأن يَحتفظ به بعد تَحصيله، فإنَّ العلمَ لا ينال براحة الجسم، فيسلك المتعلم جميع الطرق الموصلة إلى العلم وهو مُثاب على ذلك؛ لِمَا ثبت في صحيح مسلم عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنه قال: ((مَن سلَك طريقًا يلتمس به علمًا، سَهَّل الله له طريقًا إلى الجنة))، فلْيُثابر طالبُ العلم، ويجتهد، ويسهر الليالي، ويَدَعْ عنه كُلَّ ما يصرفه أو يشغله عن طلب العلم.

وللسَّلف الصَّالِح قضايا مَشهورة في المثابرة على طلب العلم، حتى إنَّه يُروى عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه سئل: بِمَ أدركت العلم؟ قال: بلسان سَؤول، وقلب عقول، وبدن غير مَلُول، وعنه أيضًا - رضي الله عنه - قال: "... إن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه - وهو قائل - فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريحُ عليَّ من التراب، فيخرج فيقول: يا ابن عمَّ رسولِ الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلَيَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحقُّ أن آتيك، فأسأله عن الحديث..."، فابن عباس - رضي الله عنه - تَواضَعَ للعلم فرفعه الله به، وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يثابر المثابرة الكبيرة"[٨].

وقال أيضًا: "إنَّ على طلبة العلم احترامَ العلماء وتقديرهم، وأن تتَّسع صدورُهم لما يحصل مِن اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأنْ يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلاً خطأً في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جدًّا؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين؛ ليتخذ منها ما ليس لائقًا في حقهم، ويشوِّش على الناس سُمعتهم، وهذا من أكبر الأخطاء، وإذا كان اغتياب العامِّي من الناس من كبائر الذُّنوب، فإن اغتيابَ العالم أكبر وأكبر؛ لأَنَّ اغتياب العالم لا يقتصر ضررُه على العالم، بل عليه وعلى ما يَحمله من العلم الشرعي"[٩].

وقال بعض السلف: "يا حملةَ العلم، اعملوا فإنَّما العالم من عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوامٌ يحملون العلم لا يجاوز تراقيَهم، يخالف عملهم علمهم، ويُخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حِلقًا يباهي بعضهم بعضًا، حتى إنَّ الرجل ليغضب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدَعَه، أولئك لا يصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى"[١٠].

وقال ابن جماعة: "فالحذرَ الحذر من هذه الصفات الخبيثة والأخلاق الرذيلة، فإنَّها باب كل شر، بل هي الشر كله، وقد بلي بعضُ أصحاب النفوس الخبيثة من فقهاء الزمان بكثير من هذه الصِّفات إلا من عصم الله - تعالى - ولا سيما الحسد والعجب والرِّياء واحتقار الناس، وأدوية هذه البلية مستوفاة في كتب الرقائق، فمن أراد تطهير نفسه منها، فعليه بتلك الكتب"[١١].

السابع: سلفية المنهج والطلب: بمعنى أن يحرص طالب العلم على متابعة منهج السلف في الطلب والفقه، وكذلك في العقيدة والتوحيد، وكذلك في العبادة والسلوك؛ قال العلاَّمة بكر أبو زيد - رحمه الله -: "كن سلفيًّا على الجادة، طريق السلف الصالح من الصحابة - رضي الله عنهم - فمن بعدهم ممن اقتفى أَثَرَهم في جميعِ أبواب الدين، من التوحيد، والعبادات، ونَحوها، متميزًا بالتزام آثارِ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وتوظيف السنن على نفسك، وترك الجدال، والمراء، والخوض في علم الكلام، وما يجلب الآثام، ويصد عن الشرع.

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -: "وصَحَّ عن الدارقطني أنَّه قال: ما شيء أبغض إلَيَّ من علم الكلام، قلت: لم يدخل الرجل قطُّ في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيًّا"؛[١٢] اهـ.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* الهامش:

[١] "فتح القدير": (تفسير سورة التوبة آية: ١٢٢).

[٢] "تفسير القرطبي": (تفسير سورة التوبة آية: ١٢٢).

[٣] "تفسير السعدي": (تفسير سورة التوبة آية: ١٢٢).

[٤] انظر: رسالة "حلية طالب العلم"؛ للعلامة بكر أبو زيد، فإنَّ فيها النفع الكبير.

[٥] "سير أعلام النبلاء"، (٤/ ٢٠٧).

[٦] "سير أعلام النبلاء"، (٨/ ١٠٨).

[٧] انظر: كتاب العلم لابن عثيمين.

[٨] المصدر نفسه.

[٩] انظر كتاب العلم، (ص: ٢٨).

[١٠] حاشية تذكرة السامع، (ص: ١٦ - ١٧).

[١١] المصدر نفسه: (ص: ٢٤).

[١٢] حلية طالب العلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع

الفهم الشمولي الصحيح للإسلام

*** أهمية الفهم الصحيح للإسلام وخطر الانحراف عنه:**

أيُّها الشباب:

اعلموا أنَّ الفهم الشموليَّ الصحيح للإسلام أمرٌ ضروري ورئيسيٌّ في صحَّة المنهج وسلامتِه واستقامته؛ لأنَّ الإسلام دينُ الله تعالى وشريعته، ولأنَّه الدِّين الباقي إلى يوم القيامة، ولأنَّ الله تعالى وعَد الأُمَّة الإسلامية إذا استقامت على منهج الله وشريعته وحُكمِه - أن يُمكِّنها في الأرض، ويرفع شأنَها، ويؤتيها خيريَّتَها.

ومِن هنا نعلم أنَّ الانحراف عن الفهم الصَّحيح لمنهج الإسلام لن يوصل إلى ذلك النَّصر المنشود، ولن يؤدِّي إلى ذلك التمكين الموعود، ولو بقي الدُّعاة في دعوتهم عشراتِ السِّنين؛ لأنَّهم ما أحسنوا فَهْمَ الإسلام، وما أحسنوا تبليغ رسالته الصحيحة الكاملة للعالَمين، فحينَها لن يقوم نصرٌ ولا تَمكين ولا حكم شرعي؛ لأنَّ قاعدة الإسلام مشوَّهة ومنقوصة، وفيها من البِدَع والأهواء الشيءُ الكثير، والتي يستحيل معَها قيامُ دولةٍ ومُجتمع إسلاميٍّ صحيح.

ونحن يا شباب الإسلام إذا رجَعنا إلى عصر الصَّحابة - رضي الله عنهم - وجدنا أنَّ أول انحرافٍ عن منهج الإسلام في التاريخ الإسلامي من جماعة وفرقة الخوارج، تلك الفئة التي خرجَتْ على الخُلَفاء الرَّاشدين، وكفَّرَت سيِّدَنا عليًّا - رضي الله عنه - وزعمَتْ أنه لا يحكم بما أنزل الله في كتابه، حتَّى قام إليهم عبدُالله بن عبَّاس - رضي الله عنهما - يُجادِلُهم بالحُسنى ويُناظِرهم؛ لعلَّهم يرجعون، فعاد فريقٌ، وضلَّ آخرون.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثُمَّ توالَت الفِرَق في الظُّهور والخروج والانحراف، حتَّى ظهر رؤوس أهل البدع والأهواء من القدريَّة، والشِّيعة، والمعتزلة، والمرجئة، والصوفية، وغيرهم كثير.

وظهرت بظهور هذه الفرق انحرافاتٌ وفِتَن في الإسلام لم تكن لها أصولٌ ولا جذور؛ كالقول بِخَلق القرآن، الذي امتُحِن فيه عددٌ من أهل العلم، حتَّى عُذِّب من أجل هذا القول الإمامُ أحمد بن حنبل الشيباني - رحمه الله - إلا أنَّ الله أكرمه بالثَّبات على الحقِّ، والصَّبر على الابتلاء والفتنة، فكان خيرًا للمسلمين، ثُمَّ توالَتْ بِدَع المرجئة والمعتزلة والأشاعرة، وكذلك بدع الصُّوفية، وما أكثرها!

فالصُّوفية مثلاً:

وقعَت في تعظيم شيوخ طُرقِهم وأقطابِهم، وقالوا: هم الأولياء فحَسْبُ، وهم الأقطاب والأبدال، حتَّى صرَفوا لهم في قبورهم العباداتِ الشرعيةَ التي لا تكون إلاَّ لله تعالى وحْده لا شريكَ له، وكذلك وصفهم بتدبيرِ الكون مع الله تعالى، وتصريف أمورِ الخلْق، ونظرهم في المقادير، فيأخذون عن شيوخهم كلَّ ما صدَر عنهم؛ حقًّا كان، أو باطلاً، ولا يردُّون ذلك إلى الشريعة والنُّصوص من الكِتاب والسُّنة كما فعَل الشِّيعة تمامًا مع أئمَّتهم، بل ويأمر هؤلاء باتِّباع الطُّرق الصوفيَّة، والاقتداء بشُيوخها، وتقليدهم، فصاروا مقلِّدين لهم بلا هدايةٍ من الله ورسوله.

واعتمدوا كثيرًا على ما سمَّوْه الكشْف والإلْهام من الرُّؤى والأحلام، وأنَّ هذا الكشْف ممَّا اطَّلع عليه الأولياءُ بعِلمهم للغيْب، وأنَّها حقٌّ، كأنَّها رؤيا الأنبياء والرُّسل، وجعلوها مصادِمةً للقرآن والسُّنة، مُضاهِيةً لها كالحُجَّة والبُرهان، وما أجلَّ قولَ الشافعيِّ - رحمه الله تعالى -: "كلُّ شيءٍ خالَف أمْرَ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - سقَط، ولا يقوم معه رأيٌ ولا قياس؛ فإنَّ الله قطَع العذرَ بقول رسولِ الله، فليس لأحدٍ معه أمرٌ ولا نَهْي، غير ما أمَر به ونَهَى عنه"[١]!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشِّيعة أيضًا خاصَّة الروافض:

أساؤوا فهم الواقعِ وفهْمَ النصوص، وغالَوْا في حبِّ عليٍّ وآلِ البيت - رضي الله عنهم - حتى تعدَّوا حدود الله تعالى ورسولِه وشريعته، والشِّيعة الأُوَل لَرُبَّما يتأوَّل لهم البعضُ بسوء الفَهْم لِنُصوص الكتاب والسنَّة، إلاَّ أنَّ شيعة زمانِنا لا يَتأوَّل لهم بذلك إلاَّ العوامُّ والجهَلةُ منهم ومِن عامَّتهم، أمَّا علماؤُهم وأئمَّتهم الَّذين يزعمون فيهم العِصْمةَ والرِّفعة، والتنزُّه عن الصغائر والكبائر معًا، فلا يقال فيهم ذلك.

فعوام الشِّيعة وسوقتهم وجهَلتُهم قد يُعذَرون بجهلهم وعدَمِ علمهم بما يَشتمل عليه مذهبُ الشيعة الإماميَّة - الَّذي ينتسبون إليه - مِن كُفرٍ بواح.

أمَّا علماؤُهم وأئمَّتهم فكيف يُتأوَّل لهم، وكيف يُعذَرون في إقامتهم على هذا الكُفر، ودعوتِهم إليه، بعد أن طفحَتْ به كتُب علماءِ مذهبهم قديمًا وحديثًا، وهم على علمٍ صحيحٍ بِما وقعوا فيه من التَّحريف والتَّأويل الباطل.

بل وإنشاء النُّصوص والأدلَّة المزعومة - من كتُب أئمَّتهم وعلمائهم - على صحَّة مذهبهم الباطل في جملته، وتكفيرِهم وسبِّهم لأصحاب النَّبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم، ورضي الله عنهم جميعًا - وبل وتفسيراتِهم الباطلة لِنُصوص الكتاب والسنَّة، بل والمناقِضة لها أشدَّ التَّناقض في حقِّ علي - رضي الله عنه - وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم جميعًا؟

وقد جاء في كتاب "الكافي" من كتب الشِّيعة الرَّوافض؛ عن جعفرِ بن محمَّد الصَّادق قولُه: "عندنا مصحف فاطمة - عليها السَّلام - وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟! مصحفٌ فيه مِثلُ قرآنِكم هذا ثلاثَ مرَّات، والله ما فيه من قرآنِكم حرفٌ واحد"[٢].

وقال نعمة الله الجزائري: "الأخْبار مستفيضة، بل مُتواتِرة، وتدلُّ بصريحِها على وقوع التَّحريف في القرآن كلامًا ومادَّةً وإعرابًا"[٣].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*** الطريق إلى الإسلام:**

إذًا عليكم يا شبابَ الإسلام؛ أن تُدرِكوا أهميةَ الفَهْم الصَّحيح للإسلام، ومدى الحاجة الشرعيَّة إليه، ولعلَّ قائلاً يقول من شبابنا: وما الطَّريق إذًا إلى الإسلام في وسط هذا الكمِّ الهائل من أهل الفِرَق والبدع المختلفة؟ وهذه الجماعات المتنافرة في السَّاحة الإسلامية اليوم؟ وكيف نصل إلى المنهج الصحيح للإسلام كما كان في عهد النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - وصحابته؟

ونحن نقول لكم أيها الشباب:

إن الطريق الصحيح إلى الإسلام يبدأ من "العودة إلى شريعة الإسلام الغرَّاء"، وتَحكيمِها في كل شؤون حياتنا، وفق الكتاب والسُّنة ومنهج وفهمِ سلَفِ الأُمَّة، وتربية الناس عليها من جديدٍ، صافيةً نقيَّة بعيدًا عن سوء الفهم لها، وعن مؤامرات التشكيك والنَّيْل منها.

*** ولن يتحقق للأمة هذا إلا بعدة أمور مهمَّة، وهي:**

الأول: تحقيق الاعتِصام والاتِّباع للكتاب والسُّنة وفق منهج السَّلف:

يجب عليكم يا شبابَ الإسلام أوَّلاً؛ أن تعلموا وتعتقدوا بدايةً بوجوب العودة إلى منهج الإسلام الصَّحيح، والمتمثِّلة في الكتاب والسُّنة بفهم سلَف الأمة، لماذا؟

لأنَّ العودة إلى لزوم هَدْيِ الكتاب والسُّنة، والاعتصام بهما، في كلِّ مجالات الحياة ليست تطوُّعًا ولا نفلاً كلاَّ، بل هذه العودة فرضٌ على كلِّ مسلم مكلَّف، بالغٍ عاقل، سواء أكان رجلاً أو امرأة، ولنكن على يقينٍ كامل، وثقةٍ مؤكَّدة بأنه لا عِزَّ لأُمَّتِنا ولا نصر لها ولا كرامة إلاَّ بِهذه البداية، وإلا بِهذه العودة الجادَّة إلى الله - سبحانه - وإلى رسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولْنَعلم أنَّه لن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أوَّلها، فلْنُسرع الخُطى بالعودة إلى القرآن والسُّنة، وإلى الاستجابة لأحكامها؛ فإنَّ فيهما الخيرَ والهداية لنا إن أردنا ذلك؛ قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٥].

ثم إنَّ الكتاب والسُّنة أصلان كبيران لِهذا الدِّين؛ لأنَّهما ركنٌ من أركان الإيمان، فمَن كفر بالكتاب أو بالسُّنة فقد كفر بالإسلام كُلِّه، فعلى كلِّ مسلم أن يؤمن بالكتاب والسُّنة، وأن يعظِّمهما، ويُجِلَّهما ويخدمهما؛ قال - تعالى -: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

كما أنَّه يجب على كلِّ مسلم الإذعانُ لله ورسوله، والاعتقادُ بوجوب التزام الكتاب والسُّنة، ووجوب مُتابعة النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - كما قال - تعالى -: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

ومِن هنا فإنَّ الواجب على المسلم - رجلاً كان أو امرأة - أن يعلم العِلمَ اليقينيَّ بوجوب أنْ يتقيَّد - في كلِّ حركة من حركاته، وسكنةٍ من سكناته، ونفَسٍ من أنفاسه - بالكتاب والسنَّة التي جاء بها النبيُّ المصطفى - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقد حضَّتْ نصوصٌ كثيرة في الكتاب والسنة على وُجُوب الالتزام بِهما، وهي واضحة ومعلومة، قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ثم إنَّ تَحقيق الاتِّباع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لوازم الإيمان والمَحبَّة؛ لأنَّه إذا تحقَّق المسلمُ بتوحيد المعبود سبحانه، فيجب عليه أن يتحقَّق بتوحيد المتبوع وهو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنَّ مُتابعة الرسول أمرٌ افترضه علينا ربُّنا في كتابه، فقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [الحشر: ٧].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما أجَلَّ في هذا المقامِ من ذِكْر كلام شيخ الإسلام ابن تيميَّة – رحمه الله – حيث قال: "فإنَّ أهل الحقِّ والسُّنة لا يكون متبوعُهم إلاَّ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – الذي لا ينطق عن الهوى، إنْ هُو إلاَّ وحيٌ يوحَى؛ فهو الذي يجب تصديقُه في كلِّ ما أخبَر، وطاعتُه في كلِّ ما أمَر، وليست هذه المَنْزلة لغيره من الأئمَّة، بل كلُّ أحدٍ من الناس يُؤخَذ من قوله ويُترك إلاَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم؛ فمن جعل شخصًا من الأشخاص غيرَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أحبَّه ووافقه، كان من أهل السُّنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة – كما يوجد ذلك في الطَّوائف من أتباع أئمَّة في الكلام في الدِّين وغير ذلك – كان من أهل البدع والضَّلال والتفرُّق"[٤].

وهذا هو ما دلَّ عليه صريحُ القرآن وصحيح السُّنة؛ فمِن ذلك قولُ الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

وقولُ الرسول – صلى الله عليه وسلم –: ((افترقَت اليهود...)) إلى قوله: ((ما أنا عليه وأصحابي)).

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: ((اتَّبِعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفِيتم، كلُّ بدعة ضلالة))[٥].

* * *

الثاني: الفَهم الصحيح للإسلام:

لأنَّ إعادة المفاهيم الصحيحة الحقيقيَّة للإسلام تعني الشَّيء الكثير؛ إنَّها تعني أن يَفهم الناس حقيقةَ كلمة التوحيد وما اشتملَت عليه من معانٍ ومقتضيات ضبَطَها أهلُ العلم، وأنَّها قولٌ واعتقاد وعمَل، وأنَّها دينٌ ودنيا، وأنَّها عبادات وأخلاق، وأنها معاملاتٌ وآداب، وأنَّها سياسات واقتصاد، وأنَّها ثقافة وعلوم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإنَّها تعني أنَّ الحكم لله وحده لا للقوانين الغربيَّة ولا الوضعية، وإنَّها تعني أنَّ الحياة كلها لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وإنَّها تعني أن تَثِق الأُمَّة بِمَنهج الله تعالى وصلاحيته الخالدة على مرِّ الزمان والعصور، وأنَّ منهج الله لن يصل إليه عقلٌ بشَرِيٌّ في رُقيِّه ومثاليَّته وكماله، فتعمل الأُمَّة وتعمر وتبني وتُصلح ما أفسدَتْه في أيَّامها الأخيرة، وإنَّها تعني أن تفهم الأُمَّة غايتها في هذه الحياة الدُّنيا، وأنَّهم دُعاةٌ لله وحده، وعبوديَّته وحده، لا شريك له.

كما تعني إعادةَ دفَّة القيادة إلى رجالِها وفرسانِها، الذي ساسوا الدُّنيا بالعدل والحقِّ، ونشروا فيها الأمن والسَّلام، كما ذكرَتْ كتب التاريخ أنَّ سعدَ بن أبي وقَّاص أرسل ربعيَّ بن عامرٍ رسولاً إلى رستم قائدِ الجيوش الفارسيةِ وأميرهم، فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسه بالنَّمارق والزرابيِّ والحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثَّمينة العظيمة على الجدران وعلى تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثَّمينة، وقد جلس على سريرٍ من ذهَب.

ودخل ربعيٌّ بثيابٍ صفيقة، وترس، وفرس قصيرة، ولَمْ يزَلْ راكِبَها حتَّى داس بها على طرَفِ البساط، ثم نزل، وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبَل، عليه سِلاحُه ودِرعه، وبَيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إنِّي لَمْ آتِكم، وإنَّما جئتُكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا، وإلاَّ رجَعْت، فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكَّأ على رمحه فوق النَّمارق، فخرق عامَّتَها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: "الله ابتعَثنا؛ لِنُخرج مَن شاء مِن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدُّنيا إلى سعتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام"[٦].

كما أنَّ الفهم الصحيح للإسلام يعني الوقوفَ أمام المذاهب والفِرَق التي دبَّت فيها البِدَعُ والأهواء وفي مقدَّمِتها الشِّيعة والصُّوفية وأصحاب المدرسة العقلانيَّة والخوارج،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذين أسْهَموا كثيرًا في تشويه صورة الإسلام الصحيحة، كما كانت في عهد النبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وصحابته - رضي الله عنهم - جميعًا.

والمنهج السَّلفي تصدَّى لكثيرٍ من انْحِرافاتهم وبِدَعِهم التي شوَّهوا بها صورة الإسلام الصحيحة، وأزاح الشُّبهات التي تعلَّقوا بها، وهم مع ذلك لا يزالون يُخالِفون منهجَ الكِتاب والسُّنة ومنهج السَّلَف، بل ويتصدَّون لهم بالعداء والتنقيص، ولكن هيهاتَ هيهات.

فالله تعالى يأبى إلاَّ أن يُظهِر الحقَّ والدِّين، وإن طال الزمان وتشعَّبَت الفِتَن، كما أخبر بذلك النبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - في حديث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - قال: سمعتُ النبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((لا يزال مِن أُمَّتِي أمَّة قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم مَن كذبَهم، ولا من خذَلَهم، حتَّى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك)).

وفي لفظ: ((ولا تزال عصابة))، وفي لفظ: ((ولا تزال طائفة))؛ وهو في الصحيحين.

كما أنَّ الفهم الصحيح للإسلام يعني حصر مصدر التلقِّي بعيدًا عن هذه الفرق والمذاهب المخالِفة لِمَنهج أهل السُّنة والجماعة، فالاستدلال الصحيح لا بُدَّ أن ينبني على منهجٍ صحيح، لا لبس فيه ولا غموض، ولا تشبيه فيه ولا تأويل يُخالف ولا تَعطيل.

وهذا الحصر في منهج التلقي يعني ثلاثةَ أمور ضروريَّة:

الأوَّل: تعظيم نصوص الوحيَيْن الكتاب والسُّنة.

والثاني: الاستدلال بالأحاديث الصحيحة الثابتة في السُّنة النبوية.

والثالث: الفهم الصحيح لهذه النُّصوص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذه الثلاثة لا تراها مُجتمعةً إلاَّ في منهج أهل السُّنة والجماعة المتبعين لها، القائمين بما فيها، دون إفراطٍ ولا تفريط، ولا جَوْرٍ ولا تأويل باطل، فهم أسعد الخلق بالأدلَّة الشرعية منهجًا وشريعة وأخلاقًا.

كما أنَّ الفهم الصحيح للإسلام يقطع شوطًا طويلاً من التربية والإعداد لجيل النَّصر والتمكين؛ لأنَّه يَقضي في سرعةٍ كبيرة على كلِّ خلل عقَدِيٍّ أو تعبُّدي أو سلوكيٍّ وأخلاقي، فالإنسان إنَّما تَصْدُر أعماله على وفق ما لديه في نفسه وقلبه وعقله من اعتقاداتٍ وتصوُّرات حول المنهج الإسلاميِّ أو غيره.

فإذا فهم الإسلام الفهم الصحيح الذي لا يعتريه النَّقص ولا البدع، ولا خالطَتْه الأهواء ولا الانحرافات، فعِندها لا نَحتاج الجهدَ الكبير الذي يأخذه من يحتاج في تربيته إلى اقتلاعِ ما يَحمل سلفًا من مقرَّرات واعتقادات وتصوُّرات تُخالف المنهج الإسلامي الصحيح، وعندها تكون الأمة الإسلامية التي تريد التمكين والنصر، في حالةٍ تؤهِّلُها لِهَذا الوعد الربَّاني النَّبويِّ بإقامة الدِّين واستخلافهم لقيادة العالَمِ مِن جديد، ونَشْرِ رسالة الإسلام والسَّلام، والأمن والأمان، ولكنَّها السُّنن!

* * *

الثالث: شمولية الإسلام:

فالعودة للإسلام تعني كلَّ الإسلام، فليس للإنسان أن يقف من الإسلام موقفَ الانتقاء والاختيار؛ فيأخُذَ ما يشاء، ويدَع ما يشاء، ويَقبل ما يشاء، ويَرُدَّ ما يشاء، كلاَّ، إنَّما الإسلام يُؤخَذ كلُّه جملةً واحدة، بلا تبعيض، ولا تفريقٍ بين أصوله وشرائعه وأحكامه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى أيضًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨]؛ أيْ: في الإسلام جميعًا.

لأنَّ الإسلام دينٌ شامل كامِل، لكلِّ مناحي الحياة البشرية، وفيه السَّعادة لِمَن سلك الطريق إليه، وأذعن له، وآمن به، فهو دينُ عقيدةٍ وإيمان، ودينُ معاملاتٍ وأخلاق، ودينُ سياسات واقتصاد، ودينُ ثقافةٍ وعلوم، ودين دنيا وآخرة، ليس فيه نقصٌ في أيِّ جوانبه، وليس في قصورٌ في أحكامه وتشريعاته، وليس فيه تغليبٌ لِجانبٍ على جانب.

كلاَّ؛ إنه دينُ الشُّمولية الواسعة، والوسَطِيَّة الهادية، والعقيدة الصَّحيحة، والعبادة المُزكية، والأخلاق الكاملة، فمن أراد السعادة استمسك بِحَبله، واعتصم بمنهاجه كما أخبر سبحانه بقوله: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه: ١٢٣]، وقولِه تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولقد ضرب الصحابةُ الكرام - رضي الله عنهم، وهم سلف الأمة وصدرُها الأوَّلُ - المثلَ الأعلى في فهمِهم الصحيح، وحُسن أخذِهم للإسلام، فكانوا لا يفرِّقون بين فرضٍ ونفل وتطوُّع - يعني في الامتثال والعمل،وكانوا يتلقَّون جميعَ أحكام الإسلام المفروضة والمسنونة على حدٍّ سواء.

والمتأمِّلُ في سِيَرِهم وأحوالهم، يجد من اهتمامهم بقيام الليل والتِّلاوة والذِّكر وصلاة الجماعة والجهاد، ما لا يسَعُه أن يفرِّق به بين الأمرين، وهذا حقيقةً مِن كمال اتِّباعهم لله ورسوله، وشمولية التلقِّي الصحيح للإسلام وشريعته.

لقد استطاعت المذاهب الغربيَّةُ والعلمانيةُ اليومَ أن تؤثِّر على كثيرٍ من شباب المُسلمين، بِما تَحمله من هدْمٍ صريحٍ للدِّين الإسلامي؛ لأصولِه وثوابته، والعمل على فصل عقيدة الإسلام وتشريعاته عن قيادة الحُكم والسِّياسة والاقتصاد، وحصر هذا الدِّين في المساجد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والصَّلاة والتِّلاوة والذِّكر فحَسْبُ، وحاولَتْ إقناعَ الجماهير بعدم صلاحية الإسلامِ لِهذا الزَّمان، فتأثَّر الكثيرُ، ووقعوا في الشَّرَك الذي نُصِب للأُمَّة كلِّها.

وكان من آثار ذلك:

• عَزْلُ الدِّين عن القيادة والسُّلطان والحكم، وإصدار التشريعات التي تحكم الأمَّة الإسلامية من مصادرها الأصلية الكتاب والسُّنة، والإجماع والقياس، وتمَّ بالفعل إلغاءُ الخلافة الإسلاميَّة نهائيًّا من تركيا، وتمَّ قطع الصِّلة بها مع الإسلام والعالم الإسلامي.

حتى قال العميل "مصطفى كمال": "نحن لا نريد شرعًا فيه "قالوا" و"قالوا"، ولكن نريد شرعًا فيه قلنا ونقول"[٧].

• كما تم إهمال العلوم الشرعية المستمَدَّة من الكتاب والسُّنة في كل مجالات التربية والثقافة، وجعلها في الدرجة الدُّنيا في ذيل القائمة، مع الإعلاء من شأن الثقافات المُخالفة لِهذا المنهج الإسلاميِّ وإجلال أصحابها، والنفخ الدائم فيهم، وجعلهم في مثابة الفاتحين والمجدِّدين.

• وفي الجانب الأخلاقيِّ فتَحوا الطَّريق أمام نشر الفساد وتدمير مقوِّمات المُجتمع المسلم، ونشر ثقافة العري والتبَرُّج والإباحيَّة، من خلال المُجون والسُّقوط، ودُور السينما والمسارح، وغير ذلك من وسائل الإعلام؛ المكتوبة، والمقروءة، والمسموعة، والمرئيَّة، على حدٍّ سواء.

والعمل على اختلاق قضايا مزعومة للمرأة، والضَّرب على هذا المنوال، إلى غير ذلك من الآثار والبلايا التي نزلت في جسد أمَّة الإسلام والتوحيد، والتي عملت مدرسةُ العلمانيَّة وجنودُها من خلالها على تخريب العقل المسلم، وتخريب العقيدة والأخلاق في قلوب الأُمَّة، ولكن أنَّى لهم ذلك، والله غالب على أمرِه مهما طال الزَّمان[٨].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالواجب على دُعاة الإسلام إحياءُ مَعالِمِ الإسلام ومعانيها الصَّحيحة الشاملة في القلوب؛ بدءًا من الجانب العَقَدِيِّ، والتعبُّدي، والتشريعي، والأخلاقي وغيرها، حتى تنبنِيَ دعوة الإسلام من جديد في نفوس شباب المسلمين، وحتَّى تُتِمَّ الدعوةُ مسيرتَها إلى حيث يَشاء الله تعالى لها.

* * *

* الهامش:

---

[١] "الأم" للشافعي: (٢/ ٢٥٠).

[٢] "الكافي"، (ج/ ١٢٣٩).

[٣] "الأنوار النُّعمانية": (ج٢ / ٣٥٧).

[٤] "مجموع الفتاوى"، (ج٣/ ٣٤٦).

[٥] "كتاب الزهد"، لوكيع بن الجراح، باب: من قال: البلاء موكَّلٌ بالقول.

[٦] "البداية والنهاية" (ج٧/ ٤٠).

[٧] "الإسلام والخلافة"، علي الخربوطلي (٢٨٥).

[٨] للاستزادة حول موضوع العلمانية يُراجَع كتاب "العلمانية" للشيخ سفر الحوالي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الخامس

تهذيب الأخلاق والسلوك

ومما لا بد منه أيضًا - يا شباب الإسلام - في صحة المنهج وسلامتِه:

أن تَعملوا على تهذيب الأخلاق والسُّلوك، وتزكيتِها وتطهيرها من السَّفاسف والمساوئ؛ لأنَّ الله تعالى أعلى من مكانة الإنسان، وفضَّله على سائر المخلوقات، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠].

فإذا لم تُهذَّب أخلاق الإنسان وتُزَكَّى وفق منهج الله تعالى وتكريمه، صار الإنسان لا وزنَ له ولا قيمة، ولا شأن له ولا رِفْعة، بل صار أضلَّ من الأنعام، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ومن أجْل إعلاء شأن الإنسان في الحياة؛ جاء الإسلام بِمَكارم الأخلاق ومَحاسنها، وبناء الشَّخصية الإسلامية المتميِّزة، وقد دلَّ عليها النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - بأخلاقه وأقواله.

ومن تأمَّل آيات القرآن، وأمعن فيها النَّظَر، ظهر له صور ومَجالاتٌ من دعوة القرآن إلى مكارم الأخلاق ومعاليها، ووجوب التحلِّي بها، ونَعْيه على المخالفين للفضائل وأصولِها، وما ذلك إلا لكون الأخلاق ميزانًا شرعيًّا يُهذِّب الإنسان، ويَرقى به إلى مدارج الإنسانيَّة الفاضلة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*** معنى الأخلاق وضرورتها في بناء الشخصية المسلمة:**

ويمكننا تعريف الأخلاق بأنَّها: مجموعةٌ من المعاني والصِّفات المستقرَّة في النَّفس، وفي ضوئها وميزانِها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يَقْبح، ومن ثَمَّ يُقْدم عليه أو يُحْجم عنه[١].

ولهذا كان المنهج السَّديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكِهم، وتيسير سُبُل الحياة الطيِّبة لهم - أن يبدأ المصلِحون بإصلاح النُّفوس وتزكيتها، وغرس معاني الأخلاق الجيِّدة فيها؛ ولهذا أكَّد الإسلامُ على إصلاح النُّفوس، وبيَّن أن تغيُّر أحوال الناس من سعادةٍ وشقاء، ويُسرٍ وعسر، ورخاءٍ وضيق، وطمأنينةٍ وقلق، وعزٍّ وذُل، كل ذلك ونحوه تبعٌ لتغيُّر ما بأنفسهم من معانٍ وصفات[٢]؛ قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

ولهذا أكَّد السلف الصالح على معاني الأخلاق، وتهذيب النفوس؛ فقد قال يحيى بن معاذ: "في سعَة الأخلاق كنوزُ الأرزاق"، وقال الحسَن: "حُسن الخلق: بَسْط الوجه، وبذل النَّدى، وكفُّ الأذى".

ورحم الله القائل:

فأدب النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

أيها الشباب:

إن من أَجَلِّ الغايات التي تريد الرسالة الإسلاميَّة تحقيقَها: تلك الغايةَ الإنسانيَّة السامية، وهي: أن يكون للإنسان خُلقٌ كريم، وسُلوكٌ نظيف، يليق بكرامة الإنسان، ويتَّفق مع ما خُلِق له من خلافةٍ في الأرض، وهذه هي الغاية التي حاولها الفلاسفة، والعلماء، والمصلحون عبر قرون مضَت، ولم يبلغوا فيها شأوًا، أو يصلوا إلى تحقيق هذا الأمل المنشود.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن عناية الإسلام وحِرصَه على تحقيق هذه الغاية الخُلقيَّة النبيلة يُقصَد بها: إيجاد عناصر قوية، وأفرادٍ صالحين؛ كي يستطيعوا أن يُسهِموا بقلوبهم وعقولهم في ترقية الحياة وإعلائها، وليكونوا أهلاً لجواره ورضوانه فيها وراء هذه الحياة.

إنَّ المَثَل الأعلى للأفراد: هو الشرف والنَّزاهة، والاستعلاء على الهوى والشهوة، وعرفان الحق والواجب، والاستمساك بأهداف الفضيلة، والاندماج في جوٍّ روحيٍّ خالصٍ، بعيد عن نقائص المادَّة، وشوائب الرُّوح، والمُثُل العُلى للجماعة هي: التَّعاون والإيثار، والتضحية وإنكار الذَّات، والمحبَّة والمودَّة، والصِّدق والإخلاص، والأمانة والوفاء، والتسامح وسلامة الصدر.

وتحقيق المَثَلِ الأعلى في جانبيه يثمر الحياة الطيِّبة، ويحقِّق المَجد والسِّيادة، والقيادةَ والتمكين في الأرض[٣].

وهذا كله من آثار الاستجابة الكاملة للدعوة القرآنيَّة الهادية، التي تأخذ الأفراد والجماعات إلى المثالية الفاضلة في الإسلام، وفي ذلك حديث النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق))؛ رواه أحمد، والحاكم.

ورحم الله القائل يومًا:

صَلاحُ أَمْرِكَ لِلأَخْلاقِ مَرْجِعُهُ ... فَقَوِّم النَّفْسَ بِالأَخْلاقِ تَسْتَقِم

وقال شوقي:

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال آخر:

هي الأخلاق تنبت كالنبات ... إذا سقيت بماء المكرمات

تقوم إذا تعهدها المربي ... على ساق الفضيلة مثمرات

ولم أرى للخلائق من محل ... يهذبها كحضن الأمهات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فحضـــن الأم مدرســـة تســـامت بتربيـــــه البنـــــين أو البنـــــات
وأخـــلاق الوليـــد تقـــاس حســـنًا بـــــأخلاق النســـــاء الوالـــدات

* * *

*** النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – المثل الأعلى في الأخلاق:**

وإذا وقفنا – أيها الشباب – مع سيرة وسُنَّة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وجدنا أنه قد ضرب لنا المثلَ الأعلى، والمثال الكامل في مكـارم أخلاقِـه وآدابـه، مـع جميـع النـاس؛ مؤمِنِهم وكافرهم، كبيرهم وصغيرهم، ذكَرِهم وأُنثاهم.

فلقد اكتسب النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أخلاقه ومكارمَها من الـدعوة القرآنيَّـة إليها وإلى التخلُّق بها؛ وضرب لأمته وللعالَمِ كلِّه المثلَ الأعلى في ذلك.

حتى كان خلُقُه القرآنَ، وحتى مدحه ربُّه – سبحانه – بقولـه: ﴿ وَإِنَّـكَ لَعَـلَى خُلُـقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وهذا أنسٌ خادم رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول: "كان رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أحسنَ الناس خلقًا"؛ متفقٌ عليه.

وعنه قال: "ما مَسستُ ديباجًا ولا حريرًا ألينَ من كفِّ رسـول الله – صـلَّى الله عليـه وسلَّم – ولا شَممت رائحةً قطُّ أطيبَ من رائحة رسـول الله – صـلَّى الله عليـه وسـلَّم – ولقد خدمتُ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – عشر سـنين، فـما قـال لي قـط: أفٍّ، ولا قال لشيءٍ فعلتُه: لِمَ فعلتَه؟ ولا لشيءٍ لم أفعله: ألا فعلتَ كذا"؛ متفقٌ عليه.

وتأملوا تواضع رسول الله في رعْيِه للغنم كما يرعاه أقلُّ الناس منْزلة؛ فعن أبي هريـرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((مـا بعـث الله نبيًّـا إلاَّ رعـى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغنم))، فقال أصحابه: وأنتَ؟ فقال: ((نعَم، كنتُ أرعى على قراريطَ لأهل مكة))؛ رواه البخاري.

ثم لنقف مع حِلْم وصبر رسولنا - صلَّى الله عليه وسلَّم - على قومه، وكيف أنه أُوتي القلب الرَّحيم، والعقل السليم، والخلق القويم؛ فعن عائشة أنَّها قالت للنبِيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحُد؟ فقال: ((لقد لقيتُ من قومك، فكان أشد ما لقيتُ منهم يوم العقبة؛ إذْ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليلَ بن كلاب، فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت - وأنا مهموم - على وجهي، فلم أفق إلاَّ في قرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرتُ، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قولَ قومك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملَكَ الجبال؛ لتأمره بما شئتَ فيهم)).

قال: ((فناداني ملَكُ الجبال، فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومِك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك؛ لتأمرني بأمرك؛ إن شئتَ أطبق عليهم الأخشبَين)).

فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((بل أرجو أن يُخرِج الله من أصلابِهم مَن يعبد الله وحده ولا يُشرك به شيئًا))؛ متفق عليه.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: "كنتُ أمشي مع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وعليه بُرْد نجراني، غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجذَبه بردائه جذبةً شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقد أثَّر بها حاشية الرِّداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء"؛ رواه البخاريُّ ومسلم.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*** من مكارم الأخلاق في القرآن والسنة:**

ثم اعلموا - يا شباب الإسلام - أنَّ القرآن والسُّنة فيهما من النصوص الكثير في الحثِّ على مكارم الأخلاق، وتزكية النُّفوس، وحسن المعاملة للناس، أما من آيات القرآن، فمن ذلك:

أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بالوفاء بالعهد والوعد، وحِفْظ الأمانات، وترك الكِبْر والخُيَلاء على الناس، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقولِه - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المعارج: ٣٢].

وقال - تعالى -: ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٧].

وكذلك أمره تعالى بصِلَة الأرحام والقُربى، وبَذْل الإحسان إليهم، وكذلك الفقراء والمساكين، وأمره بالتوسُّط في النفقة بين الإسراف والتبذير، والشُّح والتقتير، فقال - تعالى -: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧].

وقوله - تعالى -: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وكذلك أمره تعالى لعباده بالتَّعاون على فعل الخيرات، والصِّدق في القول والعمل، ونبذ النِّفاق وإخلاف العهد مع الله ورسوله، فقال - تعالى -: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال – عزَّ وجلَّ –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال – تعالى –: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَّ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧].

وكذلك قوله – تعالى – في وصف المجتمع الإسلامي بالآداب الفاضلة، والأخلاق الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١١ – ١٢].

ومنها – أيضًا – في وصف المؤمنين الكاملين في عبادتهم، وفي سلوكهم وأخلاقهم، قوله – تعالى –: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ – ١١].

ومنها قوله – تعالى –: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومنها كذلك وجِماعُها في وصف عباد الرحمن، وبيانِ صفاتهم وأخلاقهم قولُه - سبحانه -: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٦].

هذه بعض الآيات القرآنية العظيمة الهادية والداعية إلى التخلُّق بكل خلقٍ نبيل، وأدبٍ كامل؛ والقرآنُ مملوء بعشرات الآيات في هذا الجانب الأخلاقي لمن تتبَّع واستقرأ ذلك بدقَّة.

أما الأحاديث في السنة النبوية في الحثِّ على مكارم الأخلاق أيضًا، فكثيرة، منها ما يلي:

وصف الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - بالخيريَّة والفضيلة أصحاب الأخلاق الحسَنة؛ فعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: لم يكن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فاحشًا ولا متفحِّشًا، وكان يقول: ((إنَّ مِن خياركم أحسنكم أخلاقًا))؛ متفقٌ عليه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما جعل حُسن الخلق والمعاملة للنَّاس، من أفضل ما يثقل ميزان المؤمن يوم القيامة؛ فعن أبي الدَّرداء - رضي الله عنه -: أن النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((ما من شيءٍ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء))؛ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

كما جعَل حسن الخلق طريقًا كريمًا وسهلاً لدخول الجنة؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سُئل رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - عن أكثرِ ما يدخل النَّاس الجنَّة؟ قال: ((تقوى الله، وحُسن الخُلُق))، وسئل عن أكثرِ ما يُدخِل الناس النار، فقال: ((الفَم والفَرْج))؛ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

كما جعل كمال الإيمان متعلِّقًا بكمال الأخلاق والمعاملة؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم))؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

كما جعل حسن الخلق سبيلاً لِنَيل الدرجات العالية، والمنازل الرفيعة في الجنة عند الله تعالى؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعتُ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقول: ((إن المؤمن لَيُدرك بحسن خلقه درجةَ الصائم القائم))؛ رواه أبو داود.

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربضِ الجنة لمن ترك المِراء وإن كان مُحِقًّا، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه))؛ حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

كما جعل حسنَ الخلق طريقًا لنيل محبَّة الله ورسوله، والقرب من النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يوم القيامة؛ فعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((إن مِن أحبِّكم إليَّ، وأقربِكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسِنكم أخلاقًا،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإن أبغضكم إلي، وأبعدكم مني يوم القيامة، الثَّرثارون والمتشدِّقون والمتفيهِقون))، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا "الثرثارون والمتشدِّقون"، فما المتفيهِقون؟ قال: ((المتكبِّرون))؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعن ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - لأشجِّ عبد القيس: ((إن فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلم، والأَناة))؛ رواه مسلم.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((إن الله رفيقٌ يحب الرِّفق في الأمر كله))؛ متفقٌ عليه.

وعنها أن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفق، ويعطي على الرِّفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه))؛ رواه مسلم.

كما أمر بحسن المعاملة للمخطئ والمسيء في عمله؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بال أعرابيٌّ في المسجد، فقام الناس إليه؛ لِيَقعوا فيه، فقال النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماءٍ، أو ذَنُوبًا من ماءٍ؛ فإنما بُعِثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين))؛ رواه البخاري.

كما أمر بالصبر على القطيعة، واحتساب ذلك عند الله، وأمر بالصِّلة والحِلم، وعدَّ ذلك نصرًا وسلطانًا من الله على القاطعين؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابةً أصِلُهم ويَقطعوني، وأُحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ! فقال: ((لئن كنتَ كما قلت فكأنَّما تسفُّهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله تعالى ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك))؛ رواه مسلم.

كما جعل التواصل والتزاور في الله طريقًا لمحبَّة الله تعالى؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ((أن رجلاً زار أخًا له في قريةٍ أخرى، فأرصد الله تعالى على مدرجتِه ملَكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال: هل لك عليه من نعمةٍ تربُّها عليه؟ قال: لا، غيرَ أني أحببتُه في الله تعالى، قال: فإنِّي رسول الله إليك بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحببتَه فيه))؛ رواه مسلم.

كما جعل مصاحبة المؤمن دون غيره، وإطعامَه محبَّةً وصلة من مكارم الأخلاق؛ فعن أبي سعيدٍ الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((لا تُصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ))؛ رواه أبو داود، والترمذي وحسَّنه الألباني.

* * *

*** التحذيرُ من الانحراف في الأخلاق، والتقليدِ الأعمى للكافرين والفاسقين:**

وبعد هذا أيها الشباب، عليكم أن تستمسكوا بهذه المعالي من الأخلاق، وأن تعتزُّوا بما جاءكم في كتاب الله وسنَّة رسوله، وألاَّ تُخالفوا شريعة الله تعالى في سلوكِكم وأخلاقكم، وإنَّ مِمَّا ينبغي عليكم أن تحذروه أشدَّ الحذر: التقليدَ الأعمى للمنحرفين والشاذِّين والكافرين، ممن لا يريدون بشباب الأمة الإسلاميَّة خيرًا، بل ويعملون في الليل والنهار على هدم الأخلاق الفاضلة، والقِيَم النبيلة في نفوسهم.

ولقد ابتُليت الأمة الإسلامية اليوم بشِرذمة من هؤلاء، الذين فسدت أخلاقهم، وضاعت مبادئهم وقيمُهم، وصاروا في ركب القوم، يقلِّدون شباب الغرب والشرق، بلا ضوابط أو قيود من دينٍ أو خُلق، حتى أغرَوا كثيرًا من الشباب المسلم، وجعلوهم تبعًا لهم؛ في أخلاقهم وسلوكهم، وفي أفكارهم وعقولهم، وفي مأكلهم وملبسهم، حتى قَصَّة شعرهم صارت مثلهم حذو القُذَّة بالقُذَّة.

كما أخبر بذلك النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - وحذَّر من هذا المسلك الخطير، ففي الحديث المتفق عليه، عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((لتتبعُنَّ سننَ من كان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلتُموه))، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: ((فمَن؟)).

لقد حاول أعداء الأمة مَسْخَ شباب المسلمين، وجعلهم نسخًا كربونيَّة، لا تفكِّر ولا تعمل لأمتها، لكنها تفكِّر وتعمل لحسابِهم، وتفكر بعقولهم، حتى أصبح كثيرٌ من الشباب المسلم إمَّعاتٍ بشريَّةً هزيلة، لا تملك رصيدًا من الإيمان ولا الهداية، ولا فكرًا من الإبداع والعطاء، ولا نورًا من العلم والفقه؛ لأنَّ المسلمين في الأصل ما قاموا بواجبهم تجاه أبنائهم وشبابهم، وما أحسنوا إعدادهم وتنشئتَهم وفق مبادئ الإسلام الغرَّاء، وشريعته البيضاء، ومن هنا أصبح الشباب فريسةً سهلة في يد أعداء أمَّتنا ومنافقيها.

وصدق القائل يومًا:

إذا تشاكلت الأخلاق و اقتربت دنت المسافة بين العجم و العرب

وقال آخر:

وَإِذَا أُصِيبَ القَوْمُ فِي أَخْلاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَماً وَعَوِيلاَ

لقد عمل هؤلاء على إفساد وهدم أخلاق الشباب المسلم؛ عن طريق الخمر، والجنس، وإطلاق العنان للغرائز والشَّهوات، والجري وراء المظاهر، والتقليد الأعمى.

والمرأة عند هؤلاء هي أوَّل الأهداف في هذه الدعوة الإباحية، والميدان الماكر؛ فهي العُنصر الضعيف العاطفيُّ الذي ينساق وراء الدعاية والفتنة بلا رَوِيَّة ولا تفكير، وهي ذات الفعالية الكبيرة، والتأثير المباشر في إفساد الأخلاق؛ يقول كبيرٌ من كُبَراء الماسونيَّة الفجَرة: "يجب علينا أن نكسب المرأة؛ فأيَّ يومٍ مدَّت إلينا أيديها، فُزْنا بالحرام، وتبدَّد جيش المنتصرين للدِّين".

ويقول أحد أقطاب المستعمِرين: "كأسٌ وغانية تفعلان في تحطيم الأمَّة المحمدية أكثرَ مما يفعله ألفُ مدفع، فأغرِقوها في حبِّ المادة والشهوات".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلك عملوا على تذويب الهُوِيَّة المسلمة، وقد حذَّر من ذلك الشيخ "جاد الحق علي جاد الحق" شيخ الأزهر الأسبق - رحمه الله تعالى - فقال: "إنَّ البحث عن هُوِيَّة أخرى للأمة الإسلامية خيانةٌ كبرى، وجناية عُظْمى".

ولننظر إلى "أغا أوغلي أحمد" الذي كان أحدَ غُلاة الكماليِّين الأتراك، القائل: "إنَّنا عزَمْنا على أن نأخذ كلَّ ما عند الغربيين، حتى الالتهابات التي في رئيهم، والنَّجاسات التي في أمعائهم".

وهذا "طه حسين" عميد التغريب، وداعية التَّبعية المُطْلَقة للغرب، حتى في مفاسده وشروره، والقائل: "لو وقف الدِّين الإسلاميُّ حاجزًا بيننا وبين فرعونيَّتِنا، لنبَذْناه"[٤].

وقد قال الشاعر في ذلك محذرًا:

مُؤَامَرَةٌ تَدُورُ عَلَى الشَّبَابِ ... لِيُعْرِضَ عَنْ مُعَانَقَةِ الْحِرَابِ
مُؤَامَرَةٌ تَقُولُ لَهُمْ تَعَالَوْا ... إِلَى الشَّهَوَاتِ فِي ظِلِّ الشَّرَابِ
مُؤَامَرَةٌ مَرَامِيهَا عِظَامٌ ... تُدَبِّرُهَا شَيَاطِينُ الْخَرَابِ

إذًا من الواجب عليكم - يا شباب الإسلام - الحذَرُ أشدَّ الحذر من هذا المسلك الخطير، والكيد الكبير، والمؤامرة الخبيثة، وعليكم أن ترسخوا أخلاقكم كما أمرَكم ربُّكم، وحثَّكم نبيُّكم، ولا تيئسوا من الفِتَن القائمة حولكم؛ فإنَّ نصر الله قريب.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* الهامش:

---

[١] "أصول الدعوة"، د. عبدالكريم زيدان.

[٢] نفس المصدر.

[٣] "عناصر القوة في الإسلام"، السيد سابق.

[٤] انظر: "هويتنا أو الهاوية"؛ ففيه تقريرات مهمة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل السادس

حصْرُ وضبط مصدرِ التلقِّي والاستدلال

ومِمَّا لا بد منه أيضًا - يا شباب الإسلام - في صحة المنهج وسلامته: حصْرُ وضبط مصدرِ التلقِّي والاستدلال.

وأعني بهذا - يا شباب الإسلام -: أن يتحقَّق المسلم في منهجه ومتابعته وَفْق الكتاب والسُّنة، ومنهج وفَهْم سلف الأمة الصالح، في عقيدته وتوحيده، وفي عباداته ومعاملاته، وفي أخلاقه وسلوكه، وفي كلِّ شؤونه وأحواله.

*** ونعني بحصر وضبط مصدر التلقي أمرين:**

الأوَّل: حصر مصدر التلقِّي والاستدلال والتربية في الكتاب والسُّنة:

بمعنى: أن يكونَ مصدَرُ ثقافتكم وفهمِكم، ومصدر منهجكم وعقيدتكم، وعبادتكم وأخلاقكم؛ هو الكتابَ والسُّنة، فلا نتلقَّف ثقافة مخالِفةً لشريعتنا من شرق أو غرب، ولا نتلقف ثقافة مشوبة بالبدع والأهواء، من فِرَق وأحزاب مختلفة.

كما قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ ﴾ [الحشر: ٧].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد روى البخاريُّ عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: "أحسَنُ الحديث كتاب الله، وأحسن الهَدْي هدي محمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم - وشر الأمور مُحْدثاتها، وإنَّ ما توعدون لآتٍ وما أنتم بِمُعجزين".

وروى التِّرمذي عن المقدام بن معد يكرب، رفعَه: ((ألاَ هل عسى رجل يَبْلُغه الحديث عنِّي، وهو متَّكئٌ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله؛ فما وجدنا فيه حلالاً استحلَلْناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرَّمناه، وإن ما حرَّم رسول الله كما حرَّم الله)).

ولأبي داود: ((ألاَ وإنِّي أُوتِيتُ الكتاب ومثله معه، ألاَ يوشك رجل شبعان على أريكته...))؛ الحديث.

وفي خُطبة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - في "حجَّة الوداع" حثٌّ على التمسك بالكتاب والسنة؛ حيث قال: ((وقد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبدًا أمرًا بيِّنًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه))؛ رواه مالك.

بل إن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - غضب من أحد أصحابه يومًا، وقال له كلامًا شديدًا؛ لأنَّه قرأ مصدرًا آخر غير القرآن الهادي، والسُّنة الراشدة، ففي الحديث عن جابر، عن النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع أحاديث مِن يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: ((أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتُكم بها بيضاء نقيَّة، ولو كان موسى حيًّا ما وَسِعَه إلا اتِّباعي))؛ رواه أحمد والبيهقيُّ في كتاب "شُعَب الإيمان"، وحسَّنَه الألباني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله؛ أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أتى النبِيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - بكتابٍ أصابه من بعض الكتب، قال: فغضِب وقال: ((أمتهوِّكون فيها يا ابن الخطَّاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتُكم بها بيضاء نقيَّة)).

إذًا عليكم أن تعلموا أنَّ في حصر وضبط مصدرِ التلقِّي والتربية على الكتاب والسنة؛ تصحيحًا للمسار، وضبطًا للمنهج؛ ذلك أن الشباب اليوم يرى واقع الأمة الإسلاميَّةِ الأليمَ، ويرى تشتُّتَ الجهود، ويرى تكالب الأمم والأعداء علينا من كلِّ حدب، كما أنه يرى حوله عددًا من الأفكار والاتجاهات، والفِرَق والجماعات، والمناهج والتصوُّرات، ويرى أيضًا التناقض في قواعد التربية والتوجيه، ووسائل التربية والتعليم.

فيقع الكثير منهم في شكٍّ وحيرة، واضطرابٍ في المنهج والتصوُّر، وتتعثَّر أقدامه، وتتأخَّر خطواته، وتَضْطرب اتِّجاهاته وأفكاره؛ وذلك لأنَّه لا يملك في نفسه منهجًا صحيحًا، يرشده ويقوِّمه، ولا يملك من العلم والإيمان والعقيدة رصيدًا كافيًا، يعرفه بغايته ورسالته، ومن هنا تزِلُّ قدمه، وتضطرب أفكاره، وتضيع منه معالِمُ الطريق الصَّحيح، إلى منهج الإسلام.

فلا سبيل اليومَ - أيُّها الشباب - إلى تصحيح مسار الأمة الإسلامية، وبناءِ الجيل المسلم من جديد، ودَفْعِ تكالب الأمم الكافرة عنَّا، إلاَّ أن نأخذ منهج الإسلام مِن مصدره الأوَّل الصحيح، وأصله الأصيل، وأعني بذلك "الكتاب، والسُّنة".

* * *

الثاني: مُوافقة منهج وفهم السلف الصالح:

ومعنى هذا: أن التلقِّي من الكتاب والسُّنة يكون وفق منهج وفهم السَّلف الصالح؛ انطلاقًا من الصحابة - رضي الله عنهم - ثم التابعين وتابعيهم بإحسانٍ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه الله - في "مجموع الفتاوى": "أحقُّ الناس بأن تكون هي الفرقةَ الناجية "أهل الحديث والسُّنة"، الذين ليس لهم مَتْبوع يتعصَّبون له إلاَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمُهم تمييزًا بين صحيحِها وسقيمها، وأئمَّتُهم فقهاء فيها "وأهل" معرفةٍ بمعانيها، واتِّباعًا لها، تصديقًا وعملاً، وحبًّا، وموالاةً لمن والاها، ومعاداةً لمن عاداها، الذين يَرْوُون المقالات المُجْملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة؛ فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتةً فيما جاء به الرَّسول؛ بل يجعلون ما بُعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه"[١].

فلا يكفينا اليومَ متابعةُ الكتاب والسُّنة دون ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم؛ وذلك لعدَّة أمور مهمة:

أوَّلاً: لأن كل الفِرَق المنسوبة للإسلام اليوم تحتجُّ علينا بالكتاب والسنة، فإذا أردتَ تأصيل منهجٍ أو ردَّ بدعة أو مخالفةٍ ليس لها من الأدلة والنصوص ما يشهد لها أو يثبت شرعيتها، وجدنا هنا أصحابها يُوردون لنا من الأدلَّة وعمومياتها ما يُثبت صحَّة طريقتهم ومنهجهم في الدَّعوة إلى الله تعالى، أو يثبت صحَّة مذهبهم ومعتقداتهم التي يريدون لها أتباعًا وأنصارًا.

إذًا لا بدَّ من حُكْم فصل يَحْسم مسار الدعوة ومنهجها، ويقوِّم مسيرتها، إنَّه - ولا ريب - مسلك الصحابة - رضي الله عنهم - ومن تبِعَهم في القرون المفضَّلة الأولى، وهذا كما ذكرنا من قبل له من الشواهد والأدلة والبراهين من نصوص القرآن والسُّنة الكثير والكثير.

وحسْبُنا أن نورد هنا عدة منها:

أما الأدلة من القرآن والسُّنة فمنها ما يلي:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

• فقد أوجب القرآنُ اتِّباعَ الصحابة – رضوان الله عليهم – ولزومَ طريقتهم، وتوعَّد مَن يخالف سبيلهم بالعذاب الأليم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٧]، فهل كان المؤمنون عند نزول هذه الآية الكريمة إلاَّ هم؟ وقد دلَّت الآية على وجوب متابعة سبيل المؤمنين، والحذر من الوقوع في الوعيد لمخالفة هذا السبيل الذي سلَكوه.

ولِهذا جعلَهم النبِيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم –الميزان الحقَّ حين وقوع الفِتَن والافتراق في أمته كما جاء في الحديث المحفوظ المشهور؛ حديث الافتراق الذي وقعت فيه الأمم، والذي يقول فيه النبِيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقةً، وافترقت النَّصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)) قيل: مَن هي يا رسول الله؟ قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي))، وفي بعض الروايات: ((هي الجماعة))؛ رواه أبو داود، والتِّرمذي، وابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيحٌ على شرط مُسْلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

• وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

هذا دليل صريحٌ في أن الذي كان عليه الصحابة – رضوان الله عليهم – هو الهُدَى والحقُّ، ومن اهتدى به فإنه على هُدًى، وعلى صراطٍ مستقيم، فالصحابة هم المعنِيُّون بما في الآية أولاً، ثم من سار على درْبِهم، واقتدى بهم من بعدهم ثانيًا.

• وتزكية النبِيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – لهم حيث قال: ((خير الناس قَرْنِي، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدِهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه))؛

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

متفق عليه، فهذه الآيات والأحاديث دليلٌ على أنَّهم على هدى وخير، وأنَّهم أهلٌ للاقتداء والاتِّباع.

• وعن ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – قال: "اتَّبِعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفِيتم، كل بدعة ضلالة"[٢].

• وقال الأوزاعيُّ: "اصبر نفْسَك على السُّنة، وقِفْ حيث وقفَ القوم، وقُل بما قالوا، وكُفَّ عما كَفُّوا عنه، واسلك سبيل سلَفِك الصالح؛ فإنه يسَعُك ما وسِعَهم"[٣].

• وكان الحسن البصريُّ في مجلس، فذُكِر أصحاب محمد –صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال: "إنَّهم كانوا أبَرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقَها عِلمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيِّه – صلَّى الله عليه وسلَّم – فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم؛ فإنَّهم – ورَبِّ الكعبة – على الهدى المستقيم"[٤].

ثانيًا: لأنَّ الطريق إلى وحدة الأمة الإسلامية، والوقوف أمام المدِّ الجارف من كيد أعدائها، وتربُّصهم بها، وكذلك عصمتها من البدع والأهواء الناشئة من الفرق والجماعات، إنَّما يكون – هذا الطريق إلى الوحدة – حول الأصول والثوابت العاصمة من التفرُّق والتشرذم في شريعة الإسلام، وهذا أمر مقرَّر شرعًا وعقلاً؛ فالأصول في شريعتنا متَّفق عليها بين أهل السنة والجماعة، ولا خلاف فيها، وإلاَّ صار تفرقًا مذمومًا.

فأمَّة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –متفقة على أن اتِّباع الصحابة من الأصول الثابتة بنصوص الوحيَيْن المعصومين؛ الكتاب والسُّنة كما أسلفنا آنفًا، كما أنَّ عمدة نقل الشريعة موقوفٌ عليهم؛ فهم الذين نقلوا لنا القرآن بالقراءات المتواترة الثابتة الصحيحة، وهم الذين علَّموها ونشروها بين الخلق، وكذلك هم الذين كانوا أوَّلَ من تكلم بعد النبِيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – في بيان وتفسير كلام الله تعالى؛ من أمثال سيدنا عبد الله بن عباس، وابن مسعود – رضي الله عنهما – ووقفوا على بيان أسراره، وآدابه، وشريعته.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثًا: لأنَّ الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ ليسوا مَعْدودين من أصحاب الفرق والمذاهب، ولا حتى الجماعات؛ لأنَّهم في الأصل هم الأمَّة،هم كلهم حِزْب واحد، سَمَّاه الله تعالى في كتابه: ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وجعَلهم - سبحانه وتعالى - ضِدًّا وندًّا لحزب وعسكر الشَّيطان، وعسكر الجاهلية الشركيَّة إلى يوم القيامة؛ فالمؤمنون كلُّهم حزب واحد؛ إنَّه حزب الله تعالى، ويَدٌ واحدة، وجماعة واحدة، كما ورَد أن "المسلمين أمَّة من دون الناس"، فهم الجماعة المقصودة في الأحاديث النبويَّة، وهم يدٌ على من سِواهم من الناس، فلا يعدُّ الصحابة فرقةً من الفرق، ولا جماعة من الجماعات إلاَّ أنَّهم جماعة المسلمين، وقائدهم ومعلِّمُهم نبيُّنا محمَّدٌ - صلَّى الله عليه وسلَّم.

وإن أولى الناس بهذا الاتِّباع هم أهل السُّنة والجماعة الذين تميَّزوا عن سائر فِرَق أهل البدع والأهواء،فأهل السُّنة اليوم هم في خندق حقيقيٍّ كبير، وحربٍ ومكايد مختلفة المشارب،فأهل الكُفر أعداءٌ لهم، وأصحاب الفرق والضَّلالات والبدع كذلك أعداءٌ لهم.

بل وهناك من جِلْدتهم من هم أعداء لهم! وباسم الكتاب والسُّنة يتكلمون، والعلمانيُّون والمنافقون أعداءٌ لهم، وهكذا وقف الكلُّ لهم بالمرصاد يناصبهم العداء، ويكيد لهم الحقد والمكر.

* * *

*** قاعدتان في الفرق والجماعات:**

وهنا - أيُّها الشباب - نبيِّن هاتين القاعدتين اللَّتين طالما نبَّهتُ عليهما كثيرًا، وهما في الأصل يهدمان كلَّ الفرق والمذاهب التي خالفَتْ سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين، ومنهجهم إلى يوم القيامة، جملة أو تفصيلاً، في طريقة ومنهج التلقِّي والاستدلال:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القاعدة الأولى: أن كلَّ فرقة من الفرق، وجماعةٍ من الجماعات - اليومَ - لها بدايةُ مَنْشأ وتأسيس، ولها تاريخٌ، ومؤسِّسٌ صاغ لها المنهج والتصوُّرات، ووضع لها الأصول والقواعد، وجمع لها الأدلَّة والشواهد لإثبات صحَّة مذهبه وطريقته، كما فَهِم هو من الإسلام.

وأهلُ السُّنة والجماعة ومن سار على طريقهم ليسوا كذلك.

فالخوارج لهم مبدأٌ وتاريخ، وكذلك المعتزلة والرافضة، والجهميَّة والقدرية، والأشاعرة والصوفيَّة المنحرفة والمبتدعة، كل هذه الفِرَق لها مؤسِّس، وتاريخٌ نشأَتْ فيه في مسيرة دعوة الإسلام الكبيرة.

حتَّى الجماعات الدعويَّة المعاصرة فيها وَجْهُ شبَهٍ بتلك القاعدة أيضًا، كالإخوان والتَّبليغ، والجماعة الإسلامية، وغيرها، مع فارق التوجُّه بينهم وبين فرق أهل الضلال والبدع السابق ذِكْرُهم، في كثيرٍ من المسائل والفروع، إلاَّ أن لهم بدايةً ومنشأً، وهذا ما أردتُ بيانه هنا، والتأكيد عليه.

أمَّا الصحابةُ فليسوا كذلك، ولا هم من أهل هذا الطريق؛ لأنَّهم وقفوا عند قوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

فليس الصحابةُ جماعةً، وليس لها فكرٌ ومنشأٌ ومؤسِّس، إنَّما هم جماعة المسلمين التي لا تَقْبل التفرُّق داخل صفوفها، إنَّهم أهل الإسلام الذي أقاموا شريعته حقَّ إقامته، وإنما هم أتباع النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -وهم المسلمون حقًّا وصدقًا.

القاعدة الثانية: أنَّ أصحاب الفرق والمذاهب لا يجعلون الدَّليل والنصَّ مذهبهم، يسيرون معه حيث سار، ويقفون معه حيث يقف، كلاَّ، بل هم على خلاف ذلك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهم يجتهدون ويُؤوِّلون، ويجمعون من الأقوال والآراء ما يرَوْن أنه الحقُّ والصواب، ثم يَجْمعون له من الأدلَّة والشواهد والنصوص ما يؤيِّد قولَهم ومذهبهم، ولو خالفوا فيه الكتاب والسُّنة! وهذا جليٌّ واضح، ولهذا لا يتغيَّرون عن أقوالهم، ولا أقوال أئمَّتِهم وأدلتهم، ولو طال بهم الزَّمان، إلاَّ أن يرَوْا في ذلك قوَّة ومصلحة لهم، فهم على قاعدة "تَمَذْهب ثم استدِلَّ".

وهذا - ولا ريب - مُخالف لما كان عليه الصحابة والسَّلف - رضي الله عنهم - فلقد نقل عن الأئمَّة الأربعة قولهم: "إذا خالف قولي أو مذهبي الحديثَ الصحيح، فاضربوا بقولي عُرْضَ الحائط"، فجعلوا الحديث والدليل هو عُمدتَهم ومذهبهم، إذا صحَّت النِّسبة فيه والسَّند، فساروا مع الدليل، ولهذا كان للإمام الشافعي - رحمه الله - مَذْهبان؛ القديم في العراق، والجديد في مصر، وجمع فيه كتابه "الأُمَّ" المشهور المعروف، والإمام أحمد كان له في المسألة قولان، وربما ثلاثة، وكثيرٌ على هذا الطريق من الأئمة والعلماء.

فيا أيها السالكون:

هذا هو طريق الدعوة إلى الله؛ المنهاج واضح، والطريق لائح،والحادي صائح، فهل أنتم متَّحِدون؟ وهل أنتم حقًّا في الإسلام راغبون؟ فإن كان الجواب: نعم، فلِمَ الاختلاف والتناحر؟ ولم الصياح والتشاجر؟! فهل أنتم معتصمون؟

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* الهامش:

---

[١] "مجموع الفتاوى": (ج٣/ ٣٤٦).

[٢] "كتاب الزهد": لوكيع بن الجراح باب: من قال البلاء موكل بالقول.

[٣] "الشريعة": الآجري.

[٤] "الشريعة": الآجري.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل السابع

سلامة منهج العقيدة والتوحيد

ومما لا بد منه في صحة المنهج واستقامته - أيها الشباب - سلامة منهج العقيدة والتوحيد، عند الشباب المسلم.

ذلك أن الشباب المسلم منوط به الواجبات والمسؤوليات، تجاه دينه وشريعته وأمته، لأنهم ليسوا كغيرهم من الشباب، الذي يعيش على هامش الحياة البشرية، فهم شباب مؤمن بالله ورسوله وكتابه، وشباب مؤمن بمنهج الإسلام وشريعته، وشباب مؤمن بالدار الآخرة وما فيها من حساب وجزاء، وشباب له أهداف وغايات سامية، وله عند الله تعالى الجزاء الأوفى يوم القيامة.

فإليكم - أيها الشباب - أقول:

إن أول وأعظم الواجبات الشرعية المنوطة بكم، الاهتمام بالجانب العقيدي والإيماني في حياتكم، وذلك وفق عقيدة **"أهل السنة والجماعة"** من السلف الصالح والتابعين لهم بإحسان، ذلك أن الإنسان بدون عقيدة صحيحة يحيا بها، لا شأن له ولا قيمة عند الله - تعالى -، لأن العقيدة هي حياة الإنسان وروحه، وهي الصلة الوثيقة بينه وبين خالقه تعالى، فإذا انقطعت هذه الصلة، فقد الإنسان روحه الإيمانية، وتخبط في الحياة لا يعرف له طريقًا، ولا إلى الحق سبيلًا.

*** مسائل مهمة حول العقيدة والتوحيد:**

ويمكننا - هنا - أن نقف على عدة أمور ومسائل مهمة في سلامة منهج العقيدة والتوحيد:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسألة الأولى: أهمية العقيدة في حياة المسلم وخطر الانحراف عنها:

اعلموا - يا شباب الإسلام - أن الإنسان مخلوق من مخلوقات الله - عز وجل -، وصلاح حياته مرهون بمعرفة الحق واتباعه، وفسادها نتيجة محتومة لجهله بالحق، أو تمرده عليه وإن عرفه.

ولما كان الله - سبحانه - هو الحق، ومنه الحق، وأمره وتدبيره هو الحق، فإن سبب فساد الحياة البشرية كلها هو الكفر بالخالق، والكفر بأمره وتدبيره، والكفر بما أنزل من الحق، وسبب صلاح هذه الحياة كلها هو الإيمان بالله - عز وجل - ولذلك قال عز من قائل: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

ولا يتبع هداه إلا من آمن به وذكره، واستشعر وجوده، وصفاته، وعظمته سبحانه. ومن نسي ذكر الله أعرض عن هداه.

والإنسان في هذه الدنيا ممتحن بهذين الأمرين:

١- ذكر الله واتباع هداه.

٢-أو نسيانه والضلال.

فهو على مفترق طريقين لا ثالث لهما: طريق الإيمان والهدى والسعادة في الدنيا والآخرة، وطريق الكفر والضلال والشقاء في الدارين.

لذا كان أشرف ما يتعلمه الإنسان، ويعلمه لغيره أمور الإيمان وأركانه ومقتضياته، وأحوط ما يحتاط ويتسلح به معرفة معالم الكفر وأسبابه ومقتضياته.

فإن كان على بصيرة من هذين الأمرين الخطرين، عرف الإنسان طريق سعادته فالتزمه، ولم يحد عنه، وطريق شقائه فاجتنبه ([1]).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن ثم كانت عقيدة التوحيد والإيمان، ضرورة لا يستغنى عنها الإنسان ليستكمل شخصيته، ويحقق إنسانيته.

ولقد كانت الدعوة إلى عقيدة التوحيد والإيمان، أول شيء قام به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، لتكون حجر الزاوية في بناء الأمة الإسلامية.

ذلك أن رسوخ هذه العقيدة في النفس الإنسانية، يسمو بها عن الماديات الوضيعة، ويوجهها دائمًا وجهة الخير والنبل والنزاهة والشرف.

وإذا سيطرت هذه العقيدة أثمرت الفضائل الإنسانية العليا، من الشجاعة والكرم، والسماحة والطمأنينة، والإيثار والتضحية([2]).

أما الانحراف عن العقيدة الصحيحة فهو مهلكة وضياع، لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل الصالح، والفرد بلا عقيدة صحيحة، يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تتراكم عليه، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة، حتى تضيق عليه حياته، ثم يحاول التخلص من هذا الضيق بأنها حياته ولو بالانتحار، كما هو الواقع في كثير من الأفراد الذين فقدوا هداية العقيدة الصحيحة.

والمجتمع الذي لا تسوده العقيدة الصحيحة هو مجتمع ضال، ويفقد كل مقومات الحياة السعيدة، وإن كان يملك الكثير من مقومات الحياة المادية التي كثيرًا ما تقوده إلى الدمار، كما هو مشاهد في المجتمعات الضالة، لأن هذه المقومات المادية، تحتاج إلى توجيه رشيد للاستفادة من خصائصها ومنافعها، ولا موجه لها سوى هذه العقيدة الصحيحة قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا" [المؤمنون: ٥١].

فقوة العقيدة يجب أن لا تنفك عن القوة المادية، فإن انفكت عنها بالانحراف إلى العقائد الباطلة، صارت القوة المادية وسيلة دمار وانحدار كما هو مشاهد اليوم في الدول الغير إسلامية التي تملك مادة، ولا تملك عقيدة صحيحة([3]).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبالنظر والتأمل فإن الانحراف عن العقيدة الصحيحة له أسباب متعددة؛ من أهمها:

١- الجهل بالعقيدة الصحيحة؛ بسبب الإعراض عن تعلمها وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها؛ حتى نشأ جيل لا يعرف تلك العقيدة، ولا يعرف ما يخالفها ويضادها؛ فيعتقد الحق باطلاً، والباطل حقًا، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما تنقض عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

٢- التعصب لما عليه الآباء والأجداد، والتمسك به وإن كان باطلاً، وترك ما خالفه وإن كان حقًا؛ كما قال الله – تعالى -: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٠].

٣- التقليد الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها، ومعرفة مدى صحتها؛ كما هو الواقع من الفرق المخالفة من جهمية ومعتزلة، وأشاعرة، وصوفية، وغيرهم، حيث قلدوا من قبلهم من أئمة الضلال، فضلوا وانحرفوا عن الاعتقاد الصحيح.

٤- الغلو في الأولياء والصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم؛ بحيث يُعتقد فيهم ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع ودفع الضرر واتخاذهم وسائط بين الله وبين خلقه في قضاء الحوائج وإجابة الدعاء؛ حتى يؤول الأمر إلى عبادتهم من دون الله والتقرب إلى أضرحتهم بالذبائح والنذور والدعاء والاستغاثة وطلب المدد كما حصل من قوم نوح في حق الصالحين حين قالوا: ﴿ لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:٣٢]. وكما هو الحاصل من عباد القبور اليوم في كثير من الأمصار.

٥- الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية وآيات الله القرآنية والانبهار بمعطيات الحضارة المادية حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده؛ فصاروا يعظمون البشر ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده كما قال قارون من قبل: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص:٨٧] وكما يقول الإنسان: ﴿ هَـذَا لِي ﴾ [فصلت:٥٠] ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [الزمر:٤٩].

ولم يتفكروا وينظروا في عظمة من أوجد هذه الكائنات وأودعها هذه الخصائص الباهرة وأوجد البشر وأعطاه المقدرة على استخراج هذه الخصائص والانتفاع بها: ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون ﴾ [الصافات:٩٦]. ﴿ أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٨٥]. ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

٦- أصبح البيت في الغالب خاليًا من التوجيه السليم؛ وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» [أخرجه الشيخان]. فالأبوان لهما دور كبير في تقويم اتجاه الطفل.

٧- إحجام وسائل التعليم والإعلام في غالب العالم الإسلامي عن أداء مهمتها؛ فقد أصبحت مناهج التعليم في الغالب لا تولي جانب الدين اهتمامًا كبيرًا أو لا تهتم به أصلاً وأصبحت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الغالب أداة تدمير وانحراف أو تُعنى بأشياء مادية وترفيهية ولا تهتم بما يقوم الأخلاق ويزرع العقيدة الصحيحة ويقاوم التيارات المنحرفة؛ حتى ينشأ جيل أعزل أمام جيوش الإلحاد لا يدان له بمقاومتها([4]).

فالواجب بعد هذا أيها الشباب:

أن نصحح مسار العقيدة في حياتنا، وأن نقف أمام كل مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة، والتي تشمل كثيرًا من المسائل كالذبح للولي أو للصالحين، والطواف بقبورهم، والنذر لهم، والاستعانة والاستغاثة بهم في قبورهم، ودعائهم من دون الله –

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى -، وكذلك تحكيم الطواغيت، والحكم بغير ما أنزل الله تعالى، والحلف بغير الله، وتعليق الودع، والتطير من المخلوقات، وغير ذلك من مظاهر الشرك والانحراف، وكم أفضل أن يرجع الشباب إلى "كتاب التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب و"مسائل الجاهلية" أيضًا، ففيهما بيان كل ذلك على وجه الإجمال، مع بيان أدلته.

* * *

المسألة الثانية: أسس العقيدة الإسلامية وأركانها:

وهذه العقيدة الإسلامية تقوم على ستة أركان تسمى أركان الإيمان وهي بإيجاز كما يلي:

١- الإيمان بالله – تعالى -: ربًا وإلهًا موصوفًا بكل كمال، منزهًا عن كل نقصان.

٢- الإيمان بملائكة الله: وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، خلقهم الله من نور، منهم الحفظة على العباد، ومنهم الموكلون بقبض الأرواح، ومنهم خزنة النار، ومنهم غير ذلك.

٣- الإيمان بكتب الله: وأنها من وحي الله – تعالى - إلى من اصطفاهم من رسله، تحمل الشرائع والهدى والنور للمؤمنين المتقين.

٤- الإيمان برسل الله: مبشرين ومنذرين، قطع الله تعالى بهم على الناس الحجة، وبين بهم للعباد المحجة، فمن آمن بهم وأطاعهم، واتبع هداهم نجا، ومن كفر بهم وعصاهم، واتبع غير هداهم هلك.

٥-الإيمان باليوم الآخر: وأنه اليوم الذي تنتهي فيه هذه الحياة، وتكون فيه الحياة الآخرة حيث البعث والحساب والجزاء والجنة والنار.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦-الإيمان بالقضاء والقدر: وكون القضاء والقدر نظام للحياة كلها لا يخرج بشيء منها وإن قل عما حواه كتابه الذي هو اللوح المحفوظ، حيث كتب الله تعالى فيه كل ما قضى بوجوده من خير وشر في الدنيا، وسعادة وشقاء في الآخرة.

فهذه الأمور الستة هي أركان الإيمان والعقيدة، وهي الأصول التي بعث بها الرسل جميعًا عليهم صلوات الله وسلامه، ونزلت بها الكتب، ولا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعًا، على الوجه الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، ومن جحد شيئًا منها خرج عن دائرة الإيمان وصار من الكافرين.

وهذه الأصول الإيمانية قد جاءت في كتاب الله – تعالى – وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – أما آيات القرآن في الإيمان بالله – سبحانه وتعالى –، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل، والإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر: قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال – سبحانه وتعالى – في شأن الملائكة: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [غافر: ٧].

وقال عز وجل: ﴿ وَتَرَى الْمَلآئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [الزمر: ٧٥].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقال عز وجل: ﴿ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وفي شأن الكتب السماوية يقول تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وفي شأن التوراة يقول سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وفي شأن الإنجيل يقول عز وجل: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦].

وفي شأن الزبور يقول جل وعلا: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وفي شأن الصحف يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

وفي شأن القرآن قال الله – سبحانه –: ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٢-٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما في شأن رسل الله – عليهم السلام – فيقول سبحانه: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال عز وجل: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال سبحانه: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]. وقال سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

أما في شأن اليوم الآخر وأحواله يقول جل ذكره: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

وقال سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال عز وجل: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال جل ذكره: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٣].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١،٢٢].

أما القضاء والقدر فيقول تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨]. ويقول سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [القصص: ٦٨].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال جل ثناءه: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر:٢١].

أما حديث السنة النبوية عن الإيمان وأصوله؛ فقد روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: بينا نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذية، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام قال: "الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا". قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره، وشره". قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة. قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل". قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: "أن تلد الأمة ربتها وأن ترى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان". قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي: "يا عمر أتدري من السائل"؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

* * *

المسألة الثالثة: الالتفات إلى أهمية التوحيد وضرورته:

ومما يجب الالتفات إليه - أيها الشباب المسلم - في عقيدة الإيمان؛ قضية التوحيد، التي هي لُبُّ الإيمان وأساسه، وضرورة فهم هذه القضية الكبيرة وفق عقيدة السلف الصالح، **لماذا؟**

لأن الإيمان بالله عز وجل معناه: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة: من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها، المنزه عن كل نقص. والإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده في ثلاثة أمور: في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته.

ومعنى توحيده في هذه الأمور: اعتقاد تفرده – سبحانه - بالربوبية والألوهية، وصفات الكمال وأسماء الجلال.

فلا يكون العبد مؤمنًا بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره،وإله كل شيء ولا إله غيره، وأنه الكامل في صفاته وأسمائه، ولا كامل غيره.

فهذه ثلاثةُ أنواعٍ من التوحيد تدخل في معنى الإيمان بالله - عز وجل - وقد تضمن القرآن ذكر هذه الأنواع في كثير من آياته الكريمة، مع بيان حقائقها والدعوة إليها تحقيقًا لجانب الإيمان والتوحيد الذي بعث الله الرسل، وأنزل به الكتب.

أهمية التوحيد:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتتجلى لنا هنا أهمية التوحيد في العقيدة الإسلامية، وأنه أصل الشريعة ولبها وعليه تقوم الأعمال، وبه تصلح أو تفسد من خلال ما يلي:

١- التوحيد: ضد الشرك، وهو الركن الأساسي الذي يبني عليه الإسلام ويتمثل في الشهادتين.

٢- والتوحيد: دعوة جميع المرسلين إلى أممهم قال الله – تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

٣- والتوحيد: هو الذي خلق الله العالم لأجله، قال الله – تعالى -: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٤- والتوحيد: يشمل توحيد الرب والإله والحكم والأسماء والصفات وجميع أنواع العبادات.

٥- والتوحيد: هو الذي تتوقف عليه سعادة الإنسان وشقاءه في الدارين.

٦- والتوحيد: هو الذي فتح به المسلمون البلاد، وأنقذوا العباد من عبادة الطغاة إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان المحرفة إلى عدل الإسلام المحفوظ.

٧- والتوحيد: هو الذي يدفع بالمسلم إلى الجهاد والتضحية والفداء.

٨- والتوحيد: هو الذي قامت المعارك من أجله، واستشهد المسلمون في سبيله ثم انتصروا بسببه، ولا يزال المسلمون يحاربون من أجله، ولا عز لهم ولا نصر إلا بتحقيقه، فكما أنه استطاع في الماضي أن يوحدهم ويقيم لهم دولة كبيرة، فهو الآن قادر بإذن الله أن يعيد لهم مجدهم ودولتهم إذا عادوا إليه([5]) كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]. هذه بعض الأسباب الهامة التي تؤكد لنا وتبين لنا أهمية التوحيد في حياة الأمة الإسلامية وضرورته.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد جاءت النصوص والأدلة من الكتاب والسنة، في دعوة الخلق إلى إقامة التوحيد لله تعالى بكل أنواعه وصوره التي أشرنا إليها وهنا نشير إليها من آيات القرآن:

١ - توحيد الربوبية:

وهذا النوع من التوحيد معناه: الإقرار بأن الله - عز وجل - هو الفاعل المطلق في الكون: بالخلق، والتدبير، والتغيير، والتسيير، والزيادة والنقص، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك من الأفعال، لا يشاركه أحد في فعله سبحانه.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد جد الإفصاح، ولا تكاد سورة من سوره تخلو من ذكره أو الإشارة إليه، فهو كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى، وقد ذكره الله سبحانه في عدة مقامات في القرآن منها قول الله – تعالى -، في مقام الحمد: ﴿ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢].

وقوله سبحانه: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الجاثية: ٣٦].

وفي مقام التسليم أو الاستسلام لله يقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧١].

وفي مقام التوجه وإخلاص القصد يقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وفي مقام تولي الله - عز وجل - يقول تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤].

وفي مقام الدعاء يقول جل ذكره: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤،٥٥].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي مقام العبادة يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

وقد أقر الكفار والمشركين بهذا النوع وسجل القرآن الكريم ذلك وبين عجزهم واعترافهم في غير آية منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ ﴾ [يونس: ٣١].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩].

وقوله جل ذكره: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٦،٨٧].

وقوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٩].

٢- توحيد الألوهية:

ومعناه: الاعتقاد الجازم بأن الله - سبحانه - هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده سبحانه بالعبادة. وهذا التوحيد مبني على إخلاص العبادة لله وحده، في باطنها وظاهرها بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه، فالمؤمن بالله يعبد الله وحده ولا يعبد غيره، فيخلص لله المحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع، وجميع أنواع العبادة وأشكالها.

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى: فيتضمن توحيد الله في ربوبيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته وليس العكس من أجل ذلك كان هذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التوحيد أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، ومن أجله خلقت الخليفة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين»([6]).

فهو أساس دعوة الرسل - عليهم السلام -، وبه أنزلت الكتب السماوية،وعليه مدار جميع العبادات الشرعية وقد أبان القرآن ذلك كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال - سبحانه - عن نبيه نوح وهود وشعيب وصالح وغيرهم عليهم السلام لقومهم: ﴿ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾.

وفي المحبة لله نهى عن اتخاذ الأنداد له فيها فقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي الدعاء يقول سبحانه: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦].

وفي التوكل يقول تعالى: ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

وفي الرجاء يقول عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وفي الخوف يقول تعالى: ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي سائر العبادات كلها يقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام: ١٦٢،١٦٣].

٣- توحيد الأسماء والصفات:

ومعناه إجمالاً: الاعتقاد الجازم بأن الله - عز وجل - متصفٌ بجميع صفات الكمال، ومنزهٌ عن جميع صفات النقص، وأنه متفردٌ عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته الله - سبحانه - لنفسه أو أثبته له رسوله - صلى الله عليه وسلم - من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله - عز وجل -، ولا تكييفها بتحديد كنهها، وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين.

وواضح من هذا التعريف أن توحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس وهي:

١- تنزيه الله - جل وعلا - عن مشابهة الخلق، وعن أي نقص.

٢-الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، دون تجاوزها بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها.

٣- قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات.

وذكر هذا النوع من التوحيد في القرآن الكريم، كثير جدًا بل إنه لا تخلو سورة من سور القرآن، ولا صفحة من صفحاته من ذكر صفات الله وأسمائه، فتجده مرة يذكر بها في مختلف موضوعاته، من توحيد وعبادة، وتشريع، وفي مقام أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وقصصه وأمثاله ([7]).

وقد جمع الله جملة هذه الصفات في القرآن في سورة الإخلاص وآية الكرسي وآخر سورة الحشر، فقال سبحانه: ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨].

وقال عز وجل: ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهَّ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وفي التنزيه عن الشبيه والنظير والكفء والمثيل يقول عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وقال سبحانه: ﴿ فَلاَ تَضْرِبُوا لله الأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤].

أما السنة النبوية فلا تختلف كثيرًا في الدعوة إلى التوحيد، إلا زيادة وتفصيلًا لما جاء به القرآن، فقد روى مسلم عن أبي هريرة - رضيَ اللهَّ عنه- قال: قال رسول اللهَّ - صَلَّى اللهَّ عليه وسَلَّم -: "قال اللهَّ تعالى: أنا أغْنى الشركاءِ عن الشِّركِ، من عملَ عملًا أشركَ فيه معِي غيري تَركْته وشركَه".

وعن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما فقال: "يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف". [رواه أحمد والترمذي].

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: كنت رديف النبي - صلى الله عليه وسلم - على حمار، فقال لي: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله" ؟ قلت: الله ورسوله أعلم ؟ قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا" قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا". [أخرجاه في الصحيحين].

وفي السيرة النبوية خير زاد للشباب المسلم في دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى التوحيد والعقيدة في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عامًا يدعو الناس إلى التوحيد وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين؛ فكانوا يبدءون بالدعوة إلى التوحيد وإصلاح العقيدة ثم يتجهون بعد ذلك الأمر ببقية أوامر الدين.

* * *

المسألة الرابعة: الاهتمام بكتب السلف في دراسة وفهم مسائل العقيدة:

ثم اعلموا أيها الشباب:

أنه ينبغي عليكم أيضًا الاهتمام بمعرفة الكتب التي تضمنت العقيدة الصحيحة، من مؤلفات ورسائل أهل العلم من سلفنا الصالح والتابعين لهم بإحسان، لأن الاطلاع والدراسة لهذه الكتب وما شابهها، يحفظ على المسلم عقيدته الإسلامية صافية صحيحة كما هي، لا يشوبها خلل أو تحريف، أو انحراف، أو زيغ أو ضلال، مما كتب أهل البدع والفرق والأهواء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والكتب التي اهتمت بمسائل العقيدة والتوحيد، على طريقة أهل السنة والجماعة - وبعيدًا عن كتب أهل الفلسفة والكلام - كثيرة ومتنوعة، **منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:**

١- "كتاب السنة": الإمام أَحمد بن حنبل رحمه الله- ٢٤١ هـ.

٢- "كتاب السنة": عبد الله ابن الإمام أحمد - ٢٩٠ هـ.

٣- "كتاب السُّنة": أَبو بكر أَحمد بن يزيد الخلال - ٢١١ هـ.

٤- "كتاب السنَّة": الحافظ أَبو بكر بن أبي عاصم - ٢٨٧ هـ.

٥- "الشريعة": الإمام أَبو بكر محمد بن الحسين الآجري - ٣٦٠هـ.

٦- "اعتقاد أَئمة الحديث": الإمام أبو بكر الإسماعيلي - ٣٧١ هـ.

٧- "مقالات الإِسلاميين": جميعها للإمام أَبي الحسن الأشعري - ٣٢٠هـ.

٨- "عقيدة السلف أَصحاب الحديث": الإمام أَبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني - ٤٤٩ هـ

٩- "شرح أصول اعتقاد أَهل السنة والجماعة": الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي - ٤١٨ هـ.

١٠- "كتاب الأَربعين في دلائل التوحيد": أَبو إِسماعيل الهروي - ٤٨١ هـ.

١١- "العقيدة الطحاوية": الإمام أَحمد بن محمد بن سلامة أَبو جعفر الطحاوي الأزدي الحنفي - ٣٢١ هـ.

١٢- "لُمعة الاعتقاد الهادي إِلى سبيل الرشاد": الإمام موفق الدين أَبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي - ٦٢٠ هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٣- "النصيحة في صفات الرب جل وعلا": الإمام أَبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني - ٤٣٨ هـ.

١٤- "كتاب التوحيد": الإمام أَبو عبد الله محمد بن إِسماعيل البخاري - ٢٥٦ هـ.

١٥- وفارس التأليف في علم الاعتقاد - الذي لا يختلف فيه اثنان من أَهل السُّنَّة - شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨ هـ) فإِنَّه رتب هذا العلم وقعد أُصوله ومناهجه، ومؤلفاته كثيرة في هذا الباب منها: "منهاج السنة النبوية"، "درء تعارض العقل والنقل".

١٦- إِضافة إلى هذا "مجموع الفتاوى"، الذي جمع فيه كثير من مؤلفاته، وبلغ المجموع سبعة وثلاثين مجلدا.

١٧- والفارس الثاني في التأليف تلميذه: العالم الرباني ابن قيم الجوزية - ٧٥٢ هـ- صاحب الجهود المشكورة في الردِّ على الفرق الضالة، منها: "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"، "اجتماع الجيوش الإِسلامية على غزو المعطلة والجهمية"، "القصيدة النونية"، "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، "طريق الهجرتين وباب السعادتين". وغيرها من كتبه القيمة.

وكل ما ذكرناه من المؤلفات والكتب، فهي مطبوعةٌ - ولله الحمد والمنة- وثمةَ كتب كثيرة لم نذكرها؛ منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو في عالم المخطوطات([8]).

* * *

المسألة الخامسة: تحقيق عقيدة الولاء والبراء:

ومما لا بد منها - يا شباب الإسلام - في مسائل العقيدة:

تحقيق عقيدة الولاء والبراء في حياتكم، وعدم مشابهة المخالفين لمنهج الإسلام وعقيدته من المشركين والكافرين وأذنابهم، وكذلك الفاسقين والمنافقين؛ وذلك لضمان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلامة المنهج وصحته واستقامة؛ لأن الولاء والبراء قضية أساس في عقيدة المسلم، وفي تحقيق كمال الإيمان والتوحيد.

ماذا تعني قضية الولاء والبراء؟

أيها الشباب:

ماذا تعني لكم قضية الولاء والبراء؟ وماذا يترتب عليها من حقوق الإيمان والعمل؟

إن المقصود بتحقيق الولاء: أن يتحقق المسلم بمحبة الله – تعالى – ورسوله، ومحبة أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – والترضي عليهم، وكذلك محبة التابعين والمؤمنين وموالاتهم، والقيام بحقوق الإسلام والأخوة معهم، ونصرتهم ومعونتهم على الخير، والتعاون معهم على ذلك.

أما البراء: فنعني به؛ بغض الكافرين والمشركين، وكذلك المنافقين وأهل البدع والأهواء المخالفين، لله – تعالى – ورسوله، وصحابته والمؤمنين.

فالحب في الله – تعالى –، والبغض فيه قضية شرعية مهمة، وقد جاءت الشريعة بها، والحث عليها، وجعلتها أوثق عرى الإيمان، ولو تأملنا آيات القرآن، وأحاديث الرسول، لوجدنا هذا الأمر في أتم الوضوح، فقد قال – تعالى – في كتابه العزيز: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١].

وقال – تعالى – في المنافقين وموالاتهم: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [التوبة:٦٧].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال – تعالى – في موالاة الكافرين والمشركين: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:٢٨].

وقال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢].

بل وهذا نبي الله إبراهيم – عليه السلام – يضرب الله به مثلًا أعلى في تحقيقه ومن معه من المؤمنين، لعقيدة الولاء والبراء، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة:٤].

أما في السنة النبوية فقد روى أحمد في مسنده عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله".

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: "فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله.. ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"([9]).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي الحديث عند أبي داود بسند صحيح، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "من أحب لله، وأبغض لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان".

وروى الترمذي وابن ماجة بسند صحيح عن أنس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "ثلاث من كن فيه؛ وجد بهن طعم الإيمان؛ من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار".

وعن ابن عمر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال –: "المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة ". [متفق عليه].

وروى النسائي بسند صحيح عن أبي نخيلة البجلي قال: قال جرير: أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يبايع فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك، واشترط علي فأنت أعلم. قال: "أبايعك على؛ أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين".

الناس في ميزان الولاء والبراء:

أيها الشباب:

اعلموا أن الناس في ميزان الولاء والبراء على ثلاثة أصناف:

– فأهل الإيمان والصلاح يجب علينا أن نحبهم ونواليهم.

– وأهل الكفر والنفاق يجب بغضهم والبراءة منهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- وأما أصحاب الشائبتين ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فالواجب أن نحبهم ونوليهم لما لهم من إيمان وتقوى وصلاح، وفي الوقت نفسه نبغضهم ونعاديهم على قدر ما تلبسوا به من معاصٍ وفجور.

وذلك لأن الولاء والبراء من الإيمان، والإيمان عند أهل السنة ليس شيئاً واحداً لا يقبل التبعيض والتجزئة، فهو يتبعض لأنه شعب متعددة كما جاء في حديث الصحيحين في شعب الإيمان: "الإيمان بضع وستون شعبة؛ أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"، والأحاديث في ذلك كثيرة معلومة.

فإذا تقرر أن الإيمان شعب متعددة ويقبل التجزئة، فإنه يمكن اجتماع إيمان وكفر - غير ناقل عن الملة – في الشخص الواحد ودليله قوله تعالى: ﴿ وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ فأثبت الله تعالى لهم وصف الإيمان، مع أنهم متقاتلون، وقتال المسلم كفر كما في الحديث: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر".

وفي الحديث الآخر يقول – صلى الله عليه وسلم-: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"، فدل ذلك على اجتماع الإيمان والكفر - الأصغر - في الشخص الواحد.

يقول ابن تيمية: "أما أئمة السنة والجماعة، فعلى إثبات التبعيض في الاسم والحكم، فيكون مع الرجل بعض الإيمان، لا كله، ويثبت له من حكم أهل الإيمان وثوابهم بحسب ما معه، كما يثبت له من العقاب بحسب ما عليه، وولاية الله بحسب إيمان العبد وتقواه، فيكون مع العبد من ولاية الله بحسب ما معه من الإيمان والتقوى، فإن أولياء الله هم المؤمنون المتقون.

كما قال تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾."([10]).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمثلة وصور في قضية الولاء والبراء:

وحتى نفهم قضية الولاء والبراء، والحب والبغض في الله – تعالى –، نذكر هنا عدة أمثلة في موالاة الكافرين والمنافقين، وكذلك عدة صور في موالاة المؤمنين، وقد قال أبو الوفاء بن عقيل: "إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة، عاش بان الراوندي والمعري – عليمها لعائن الله – ينظمون وينثرون كفرًا، وعاشوا سنين، وعُظمت قبورهم، واشتُريت تصانيفهم، وهذا يدل على برودة الدين في القلب".

أما موالاة أهل الإيمان والتوحيد فلها صور كثيرة منها:

فالود والمحبة الخالصة لهم، والنصرة والتأييد، والنصح لهم، والتعاون معهم على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفه الظلم عنهم، ودفعهم أنفسهم عن الوقوع في الظلم، وتقديم الهدية لهم، وزيارتهم في الله، وإفشاء السلام بينهم، وكف الأذى عنهم، وتحقيق الأخوة الإيمانية معهم.

وكل هذه الصور وغيرها جاءت بها نصوص الوحي من الكتاب والسنة، وذكرها هنا يطول به المقام، ولكن يكفينا منها: قول الله – تعالى –: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١].

وكذلك قول النبي – صلى الله عليه وسلم في الحديث: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". [رواه مسلم].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحديث أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "انصر أخاك ظالما أو مظلومًا. قالوا يا رسول الله: هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: تأخذ فوق يديه" أي تمنعه من الظلم. [رواه البخاري].

وحديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم " [متفق عليه].

وأما موالاة الكافرين والمنافقين وأعداء الإسلام فلها صور كثيرة منها:

١– التشبه بهم في اللباس والكلام.

٢– الإقامة في بلادهم، وعدم الانتقال منها إلا بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.

٣– السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس.

4– اتخاذهم بطانة ومستشارين.

٥– التأريخ بتاريخهم خصوصًا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي.

٦– التسمي بأسمائهم.

٧– مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها.

٨– مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون النظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد.

٩– الاستغفار لهم والترحم عليهم([11]).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد دلت عليها أيضًا كثير من نصوص الشريعة الإسلامية، وبينها النبي - صلى الله عليه وسلم - أيما بيان، وحذر أمته من تقليد الكافرين والتشبه بهم، والسير في ركابهم، وحذر من ضياع وتمييع الشخصية المسلمة، وذوبانها في بوتقة التقليد الأعمى، والسير في ركاب الجاهلين.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٥٧].

أمور لا تقدح في الولاء والبراء:

لكن عليكم - أيها الشباب - أن تنتبهوا إلى أن هناك أمور لا تقدح في عقيدة الولاء والبراء، وإنما هي من باب الإباحة أو الدعوة، أو بذل الإحسان العام للناس، فقد أجاز الإسلام للمسلم البيع والشراء مع الكافرين، إلا آلة الحرب والقتال، وكذلك أجاز الزواج من نساء أهل الكتاب، وأكل ذبائحهم بنص القرآن، وكذلك دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والعدل معهم في المعاملة، فلا ظلم ولا اعتداء، وكذلك التصدق عليهم، وزيارة مرضاهم إذا كان هناك مصلحة شرعية راجحة بينة.

قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥].

وقال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨].

وفي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا". [رواه البخاري].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكل هذه الصور أيضًا لا تدخل في باب الموالاة لهم، ومودتهم، إنما هي حالات خاصة، وقواعد عامة.

* * *

* الهامش:

([1]) الإيمان وأركانه. محمد نعيم ياسين.

([2]) إسلامنا. السيد سابق.

([3]) العقيدة الإسلامية أحمد آل سبالك.

([4]) العقيدة الإسلامية: أحمد آل سبالك: (١٩-٢١).

([5]) العقيدة الإسلامية: محمد بن جميل زينو.

([6]) الإيمان وأركانه محمد نعيم ياسين.

([7]) المصدر السابق.

([8]) الوجيز في عقيدة السلف الصالح: عبد الله بن عبد الحميد الأثري. بتصرف.

([9]) أوثق عرى الإيمان: (ص:٣٨).

([10]) مجلة البيان: (عدد٥١/ ١٤١٢هجري).

([11]) دروس رمضان: عبد الملك القاسم (ص:٥٩،٦٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثامن

صحة العبادة والمعاملة

ومما لا بد منه أيها الشباب في صحة المنهج واستقامته:

صحة العبادة والمعاملة، ذلك أن الإسلام في أصله هو **"العقيدة"** و **"الشريعة"** وكلاهما أصل من أصول الدين، فلا تصح عقيدة بدون عبادة، ولا تصح عبادة بدون عقيدة، لأن العقيدة تربط الإنسان بربه ومعبوده، ولأن الشريعة تنظم العبادة ومسائلها، والحياة وشؤونها.

ولهذا جمع الله في شريعة النبي – صلى الله عليه وسلم – شرائع كثيرة تخص التعبد لله من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها، وشرائع أخرى تنظم للناس شؤون حياتهم وتجارهم ومعاشهم، وطرق البيع والشراء والإجارة وما يصح منها وما لا يصح، وما يجوز منها وما لا يجوز، وقد اصطلح كثير من الفقهاء على تسمية ذلك ب"فقه المعاملات".

وبالجمع بين مسائل العبادات والمعاملات، نجد أن أهل العلم قد اصطلحوا على جمعها تحت مسمى "الفقه" أو "الفروع" وإن كانت تسمية الفروع في القلب منها شيء، وقد أنكرها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – وعدها من البدع التي تفرق بين أن الصلاة أصل كما أن الإيمان أصل، وهذا ما أدين الله تعالى به.

إلا أن البعض يرى أنها تسمية اصطلاحية للتمييز بين أصول الدين في أبواب العقيدة والتوحيد، وبين الفروع في أبواب العبادات والمعاملات، وإن كان الكل من أصول الدين، فنقول: **"فقه العبادات"** و **"فقه المعاملات"**.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والفقه كما قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –: "والفقه لغة: الفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه:٢٧ –٢٨].

واصطلاحاً: معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية"([1]).

والكلام في علم الفقه كلام طويل، وليس هذا مكانه، وإنما الغرض أن نتنبه إليه، ونسعى قدر الاستطاعة لطلبه فإنه من أشرف العلوم الشرعية.

* * *

*** مكانة هذا العلم وشرفه:**

أيها الشباب:

إن عظمة هذا العلم وشرفه – فقه العبادات والمعاملات – تَجلّ عن الوصف والإحاطة، ذلك أنها أحكام تساير المسلم وتلازمه في عموم مسالك حياته فيما بينه وبين ربه، وفيما بينه وبين عباده.

فبها يشد حبل الاتصال بعبادة ربه في علانيته وسرّه ؛ من طهارة، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج ومناسك.

وبها ينشر راية الإسلام ويرفع منار القرآن وذلك في فقه الجهاد، والمغازي، والسير، والأمان، والعهد، ونحو ذلك .

وبها يتطلب الرزق المباح، ويبتعد عن مواطن الإثم والجناح ، وذلك في فقه المعاملات من بيع وشراء، وخيار، وربا، وصرف، وما جرى مجرى ذلك مما يرتبط بمعاملات الخلق المالية لبعضهم مع بعض.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبها يُجرى الأموال في وظائفها الشرعية من وقف ووصية ونحوهما من أحكام التصرفات المالية.

وبها يقف على فقه الفرائض المحكمة فيسعد بنصف العلم، وتستقر الأموال في يد أربابها على أعدل قسمة وأتم نظامه.

وبفقهها ينعم بالحياة الزوجية الشرعية، وما يلحق بها من الأحكام، وما يتعلق بها من طلاق ونحوه.

ويحيط بمدى محافظة الإسلام على ضروريات الحياة المشمولة باسم: الجنايات، والديات والحدود والتعزيرات؛ فيعيش في أمن وأمان، وراحة بال واستقرار.

وهكذا في أحكام الأطعمة والنحائر والنذور والأيمان، وفي مباحث التقاضي وقواعده وطرقه وأحكامه موطن تحقيق العدالة وفصل الخصام؛ فتقر الحقوق في أنصابها وتعاد الظلامات إلى أهلها.

ولجلائل هذه النعم تسابق العلماء في تدوين الفقه الإسلامي، فقعدوا القواعد، وأصلوا الأصول واستنبطوا الألوف المؤلفة من الفروع في الآف المجلدات. وهؤلاء الأجلّة من العلماء على تنوع مؤلفاتهم الفقهية وتزاحم هممهم العلية، تختلف مدوناتهم باختلاف مشاربهم واتجاه فقههم. فمنهم من ألَّف في دائرة مذهبه وما زاد. ومنهم من ألف في دائرة المذاهب الفقهية المنتشرة في الأمصار. ومنهم من كان كذلك مبيناً أدلة الخلاف ووجوه الاستدلال.

ومنهم رعيل ألّف على سبيل الاجتهاد والتحقيق، والنظر العميق، فحرر الوقائع وبيَّن النوازل، وساق لها صنوف الأدلة من مشكاة النبوة، سائراً مع السنن حيث سارت ركائبها، متجهاً معها حيث كانت مضاربها، فأخرجوا بذلك للناس علماً جماً، وفكراً خصباً جارياً على أسعد القواعد وأرشدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا النوع من الفقه هو أصلاً حظّ أصحاب - النبي صلى الله عليه وآله وسلم - ألقوه إلى التابعين لهم بإحسان، وهكذا تلقفه من تبعهم بالحسنى فدونوه على هذا النمط الكريم والمنهج السليم([2]).

* * *

*** دراسة الفقه وتحصيله على الشيوخ والعلماء:**

ومما ينبغي عليكم أيها الشباب:

العناية بتحصيل فقه العبادات والمعاملات، ودراسته دراسة شرعية مؤصله، لترفعوا الجهالة عن أنفسكم، وتصح لكم عبادتكم ومعاملتكم.

كما ينبغي عليكم أن يكون تحصيلكم ودراستكم على أيدي الشيوخ والعلماء، وليس من بطون الكتب والأوراق، لأن هذا ليس من طريق العلم، ولا من آدابه.

وقد قيل: "من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه".

وقال ابن سيرين ومالك وغيرهما: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم".

وأما كيفية التحصيل وآدابه فهذه مسألة مرت معنا في محور مستقل عن طلب العلم وطرق تحصيله وآدابه، فلتراجع.

* * *

* الهامش:

([1]) شرح الأصول من علم الأصول: (ص:١٢).

([2]) صحيح فقه السنة: لأبي مالك كمال سالم (ص:٥-٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل التاسع

تجديد الإيمان وتوثيق الصلة بالله تعالى

أيها الشباب: إن تجديد الإيمان في القلوب والنفوس، وتوثيق الصلة بالله – تعالى –، أمر جاءت به نصوص الكتاب والسنة، فقد قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦].

وجاء في الحديث عن ابن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى: أن يجدد الإيمان في قلوبكم". [روه الحاكم والطبراني وصححه الألباني].

إن العوامل والفتن والابتلاءات التي تحيط بنا من كل مكان، لا ريب أنها تؤثر في القلب والنفس، وربما وقع صاحبها في الضيق والحرج والإثم، لضعف العامل الإيماني والوازع الشرعي في القلب.

بل ربما وقع مثل هذا في الانتكاس عن طريق الاستقامة والعبادة، فيقع منه التقصير في الفرائض والواجبات، كالمحافظة على الصلوات الخمس والجمع والجماعات، أو بذل حقوق المسلمين عليه، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الدعوة إلى الله تعالى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد يقع في التقصير في أعمال اليوم والليلة، والتي كان في حال سابق دائم المحافظة عليها، كترك قيام الليل، والذكر في الصباح والمساء، والتطوع والنوافل اليومية، وصيام الاثنين والخميس.

فالمسلم إذن في حاجة دائمة إلى تقويم إيمانه وتهذيب نفسه وتزكيتها حتى لا تؤثر فيه عوامل الفتنة والابتلاءات من حوله.

وهناك الكثير من الوسائل الإيمانية والصلات الربانية التي ترفع مستوى الإيمان في القلب، وتوثق الصلة بين العبد وربه وتزكي النفس وتهذبها، منها: المحافظة على عمل اليوم والليلة، وأذكار الصباح والمساء، والسنن والرواتب، وصيام التطوع، وورد تلاوة القرآن، والعناية بأعمال القلوب من الإخلاص، والصدق، والإنابة، والخشية، والخوف، والرجاء.

وكذلك تحقيق الإحسان بكل أنوعه وصوره، وتحقيق التقوى في كل الأحوال، ومطالعة السيرة النبوية، ومطالعة سير وتراجم العلماء والصالحين، ومجالسة العلماء والصالحين، وحضور مجالس العلم.

وكذلك الحذر أشد الحذر من مقارفة الذنوب والمعاصي، والتهاون في ارتكاب المحرمات والمناهي، وأيضًا ملازمة الصحبة الصالحة، والحذر من صحبة السوء والأشرار، ولكل منها أدلتها وشواهدها من القرآن والسنة والأخبار والقصص.

*** وسأذكر هنا أمثلة سريعة ومختصرة لتلك الوسائل العظيمة، في تجديد الإيمان، وتوثيق الصلة بالله تعالى، فمن ذلك على سبيل المثال:**

١ - إقامة الصلاة بأركانها وخشوعها: اعلموا - يا شباب الإسلام - أن أعظم أركان الإسلام بعد التوحيد وإقامته، إقامة الصلوات في أوقاتها لله تعالى، بأركانها وشروطها، من الطمأنينة، والتدبر، والترتيل، والخشوع والذلة لله – تعالى -.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد جعل الله – تعالى – المحافظة على الصلاة، والقيام بحقها من صفات المتقين الصادقين فقال تعالى: ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة:١-٣].

كما أمر بها الأمم من قبلنا بفعلها، فقال – تعالى – لبني إسرائيل: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٣]، ثم كرر الأمر بها فقال: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٥].

ولما بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – أمره بدعوة الناس إلى الصلاة، كما جاء في الحديث عن معاذ وابن عباس – رضي الله عنهما –: "إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات، في كل يوم و ليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب". [رواه النسائي والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢٢٩٦].

وهذه الصلاة طريق لتهذيب النفس والأخلاق، وحفظها عن الفواحش والدنايا والمحرمات، كما أخبرنا تعالى في كتابه: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

كما جعل – سبحانه – إقامة الصلاة على أوقاتها، من أعظم ما يذهب السيئات والخطايا عن الإنسان، فقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود:١١٤].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر". [رواه مسلم].

كما جعل الله الصلاة من أجل الذكر له – تعالى – فقال عز وجل: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه:١٤].

قال السعدي – رحمه الله –: "أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي، لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذكر الله، معطل عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها إقامة ذكره، وخصوصا الصلاة.

قال الله – تعالى –: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾ أي: ما فيها من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر، وهذا النوع يقال له توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة، فالألوهية وصفه تعالى، والعبودية وصف عبده".

كما حذرنا الله – تعالى – من تضيع الصلاة، وإخراجها عن وقتها الذي يحبه الله – تعالى – ويتعبدنا به فقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩].

وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون:٤،٥].

كما جعل الله التكاسل عن الصلاة من علامات المنافقين وصفاتهم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٤].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجاء في حديث أبي هريرة مرفوعا: "أثقل الصلاة على المنافقين؛ صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما، لأتوهما ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلًا يصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار". [متفق عليه].

وعنه قال: أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل أعمى فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال: "هل تسمع النداء بالصلاة؟" قال: نعم قال: "فأجب". [رواه مسلم].

وترك الصلاة بلا عذر شرعي أمر محرم شرعًا، وقد يفضي بصاحبه إلى الكفر عياذًا بالله تعالى فعن بريدة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر". [رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه].

إذن من الواجب على المسلمين الاهتمام بالصلاة والمحافظة عليها، لأنها من أفرض الفرائض علينا، ثم لأن الصلاة بناء للإنسان وتهذيب للنفس، وصلة قوية تربط العبد بخالقه، وتخلق فيه من أنواع الحب والخشية الشيء الكثير.

* * *

٢- تلاوة القرآن وتدبره: ثم اعلموا؛ أن أفضل الذكر تلاوة القرآن وذلك لتضمنه لأدوية القلب كما قال الله - عز وجل -: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [يونس:٥٧].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه" [رواه مسلم].

ويرحم الله القائل:

سأصرف وقتي في قراءةِ ما أتى ... عن الله مع ما جاءنا عن رسولهِ

فإن الهدى والفوز والخير كله ... بما جاء عن رب العباد ورسلهِ

وقال آخر:

القرآن أصلُ أصول الدين قاطبَة ... فكن هُدِيتَ به مستمسكًا وثقَا

فما أحوج المسلم إلى تلاوة هذا الكتاب وقد بينا ذلك فيما مضى وقد قال خباب ﷺ: تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.

يقول الدكتور مصطفى عبد الواحد: "إن المسلم يعلم أن كتاب الله عز وجل هو روح الهداية في هذه الدنيا وهو نقطة التحول في تاريخ البشرية فلابد أن يكون وثيق الصلة به يعيش معه ولا يسأم من ترديد النظر فيه فهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم"([1]).

ويقول أيضًا: "ومن هنا فلا ينبغي للمسلم أن يتهاون في صلته بالقرآن فينساه أو يهجره فالقرآن هو الدستور الذي يجمع حقائق الإسلام فإذا انقطعت صلة المسلم به فإن نبع الإيمان يجف في نفسه فتذوي نضارته ويذهب بهاؤه"([2]).

ويقول أبو الحسن الندوي – رحمه الله –: "والقرآن وسيرة محمد – صلى الله عليه وسلم – قوتان عظيمان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان"([3])

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فمن الواجب على كلّ مسلم أن يتدبَّر هذا القرآن العظيم، وأن يتفهَّم آياتِه ومعانيَه، وأن يعيش معه برُوحه وفِكْره ووجدانه؛ كما قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال أيضًا: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

قال العلامة ابن سعدي - رحِمه الله -: "أي: فهلا يتدبَّر هؤلاء المعرضون القُرآن كتاب الله، ويتأمَّلونه حقَّ التَّأمُّل، فإنَّهم لو تدبَّروه، لدلَّهم على كلّ خير، ولحذَّرهم من كلِّ شرّ، ولملأ قلوبَهم من الإيمان، وأفئِدتَهم من الإيقان، ولأوْصلَهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبيَّن لهم الطَّريق الموصّلة إلى الله، وإلى جنَّته ومكملاتها، ومفسداتها، والطَّريق الموصّلة إلى العذاب وبأيّ شيءٍ تُحْذَر، ولعرَّفهم بربِّهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوَّقهم إلى الثَّواب الجزيل ورهَّبهم من العقاب الوبيل"([4]).

ولا يَخفى علينا ما للتدبُّر من آثارٍ وفوائد، وقد كان رسولُ الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم - يتدبَّر القرآن، ويردِّدُه وهو قائم باللَّيل، حتَّى إنَّه في إحْدى اللَّيالي قام يردِّد آيةً واحدةً من كتاب الله، وهو يصلِّي لَم يُجاوزْها حتَّى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] رواه أحمد، وهذا يدلّ على وجوب تدبُّر القرآن الكريم ومُعايشة آياتِه، وفهْم معانيه وما تدْعو إليْه.

والقرآن فيه توْحيد، ووعْد ووعيد، وأحكام وأخبار، وقصص وآداب، وأخلاق وآثارها في النَّفس متنوّعة.

وقد كان صحابة النَّبي - صلَّى الله عليْه وسلَّم - يقرؤُون ويتدبَّرون ويتأثَّرون، وكان أبو بكر - رضِي الله عنْه - رجُلاً أسيفًا رقيقَ القلب، إذا صلَّى بالنَّاس وقرأ كلام الله - تعالى - لا يتمالَكُ نفسَه من البكاء، ومرض عُمر - رضِي الله عنْه - من أثر تلاوة قوْل اللهَّ - تعالى -: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور: ٧، ٨].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال عثمان بن عفَّان – رضي الله عنْه –: "لو طهرتْ قُلوبُنا ما شبِعَت من كلام ربِّنا"، وقُتِل شهيدًا مظلومًا ودمُه على مصْحفه، وأخبار الصَّحابة في هذا كثيرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمطلوب من القُرآن هو فهْم معانيه والعمل به، فإن لم تكُن هذه همَّة حافظه لم يكُن من أهل العلم والدين"، وصدق القائل:

فشمر ولُذْ بالله واحفظ كتابه ... ففيه الهدى حقًا وللخير جامع
هو الذخر للملهوف والكنز والرجا ... ومنه بلا شكٍ تُنال المنافع
به يهتدي من تاه في معمعة الهوى ... به يتسلى من دهتهُ الفجائع

* * *

٣- ذكر الله تعالى: وكذلك يحتاج المسلم في عدته الإيمانية الروحية إلى الذكر وقد قال تعالى: ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨]، وقال الله – تعالى –: ﴿ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ فَاذكُروني أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَاذكُروا الله كَثِيراً لَعَلَّكم تُفْلِحونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَاذكُرْ رَبَّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَولِ بالغُدُوِّ والآصَال، وَلا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكراً كَثِيراً، وَسَبِّحُوهُ بُكرةً وَأَصِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وليعلم المسلم أن حقيقة الذكر ليست باللسان بل لابد أن ينشأ أولاً في الشعور والوجدان ثم يفيض على اللسان مناجاة وحمدًا وتسبيحًا وتنزيهًا فحينئذٍ يكون المسلم من الذاكرين حقًا الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا.

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت". [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "سبق المفردون"، قالوا: وما المفردون يا رسول الله ؟ قال: "الذاكرون الله كثيراً والذاكرات". [رواه مسلم. قال النووي – رحمه الله -: روي: المفردون بتشديد الراء وتخفيفها، والمشهور الذي قاله الجمهور: التشديد].

وعن عبد الله بن بسرٍ - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيءٍ أتشبث به قال: "لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله". [رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ].

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ألا أدلك على كنزٍ من كنوز الجنة ؟، فقلت: بلى يا رسول الله قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله". [متفقٌ عليه].

وقال الحسن البصري: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم؛ وإلا فاعلموا أن الباب مغلق".

وقال الإمام ابن القيم: "الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، وبه يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليهم به المصيبات، وهو جلاء القلوب وصقالتها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا، ازداد محبة إلى لقائه للمذكور واشتياقًا"([5]).

وفي الحديث القدسي: "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" [رواه البخاري].

* * *

٤- **مطالعة الأسماء الحسنى والصفات العلى وآثارها:** لأن مطالعة الأسماء الحسنى ومعانيها، والصفات العلى وآثارها، مما يهذب النفس، ويجدد الإيمان في القلب، ويوثق الصلة بالله – تعالى -.

وقد جاء في القرآن الكريم قول الله – تعالى -: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وجاء في السنة الثابتة قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)). [رواه البخاري ومسلم].

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى -: "لله – تعالى – أسماء و صفات جاء بها كتابه، و أخبر بها نبيه – صلى الله عليه وسلم- أمته، لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وتثبت هذه الصفات، وينفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه – تعالى – فقال سبحانه: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [٦].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال الإمام الصابوني – رحمه الله – في "اعتقاد أئمة الحديث": "ويعتقدون أن الله – تعالى – مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه...لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يوصف بما فيه نقص أو عيب أو آفة فإنه – عز وجل – تعالى عن ذلك"[٧].

وقال العز بن عبد السلام –رحمه الله–: "فهم معاني أسماء الله – تعالى – وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل.. وغير ذلك من ثمرات معرفة تلك الصفات".

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب – جل جلاله – ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان".

ويقول أيضاً: "ذكر الله بأوصاف الجمال موجب للرحمة وبأوصاف الكمال موجب للمهابة، وبالتوحد بالأفعال موجب للتوكل، وبسعة الرحمة موجب للرجاء، وبشدة النعمة موجب للخوف، والتفرد بالإنعام موجب للشكر، ولذلك قال سبحانه: "اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً" [الأحزاب: من الآية٤١]".

ونقل الحافظ ابن حجر – في فتح الباري – عن ابن بطال قوله: "طريق العمل بها: أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم فإن الله يحب أن يرى حالها على عبده، فليعرف العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، وما كان يختص بالله كالجبار والعظيم فيجب على العبد الإقرار بها والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد: نقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد: نقف منه عند الخشية والرهبة".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : "وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفي ما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده.. ولو فتشت لرأيت عنده تعتباً على القَدَر وملامة له.. وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك".

ويقول أيضًا: "وليس هذا مختصاً بأوليته – تعالى – فقط، بل جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب – سبحانه – يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها وقيامه بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله – تعالى – على خلقه وفوقيته لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجياً له مطرقاً واقفاً بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت، بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس، إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء :﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:٥].

فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به، وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك علمه علماً تفصيلياً، ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية له بادية، لا يخفى عليه منها شيء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه -سبحانه - لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، سواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه صوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد، كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة.

وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير - جل جلاله - الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاته وسكناته تيقن أنه بمرأى منه – سبحانه –، ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء.

وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال، وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس بما كسبت، وأنه – تعالى - هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصال جزاء المحسن وجزاء المسيء إليه، وأنه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا يضل ولا ينسى.. إلخ.

فلا بد للعبد من مطالعة أسماء ربه – تعالى –، وشهود آثارها، وملازمة الافتقار إلى ربه سبحانه في كل حال، كما قال القائل:

أخي إذا أرهقت هموم الحياة ... ومسك منها عظيم الضرر
وذقت الأمرين حتى بكيت ... وضج فؤادك حتى انفجر
وسدت بوجهك كل الدروب ... وأوشكت تسقط بين الحفر
فيمم إلى الله في لهفة ... وبث الشكاة لرب البشر

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥- **قيام الليل**: وهذا أيضًا من أعظم الزاد والبناء الإيماني في قلب المسلم وهو من أول ما أمر الله به نبينا عليه الصلاة والسلام يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزمل:١-٤].

وقال الله – تعالى -: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّد بِهِ نَافِلَةً لَكَ، عَسَى أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامَاً مَحْمُوداً ﴾ [الإسراء:٧٩].

وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة:١٦].

وقال تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات:١٧].

وفي الحديث عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا، يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أكون عبداً شكوراً". [متفقٌ عليه].

بل إن السلف الصالح كانوا يعظمون قيام الليل، ويرفعون مكانته، ويجعلونه دليل العلم والخشية، وعلامة الصالحين الصادقين، وكانوا يعجبون مما لا نصيب له من هذه العبادة الجليلة.

فقد ذكر ابن الجوزي – رحمه الله – في "صفة الصفوة" في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل: عن أبي بكر المروزي قال: كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة اشهر بالعسكر؛ لا يدع قيام الليل، وقراءة النهار، فما علمت بختمة ختمها كان يسر ذلك.

وعن أبي عصمة بن عصام البيعقي قال: بت ليلة عند احمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر في الماء، فإذا هو كما كان فقال: سبحان الله رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل؟. المجلد الأول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذكر عنه صاحب الآداب الشرعية: إبراهيم بن شماس، قال: كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام وهو يحيي الليل.

وقال الشيخ تقي الدين: فيه أنه يُكره لأهل العلم ترك قيام الليل، وإن كانوا مسافرين.

وعن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن وقال له شاب: أعياني قيام الليل. فقال: قيدتك خطاياك.صفة

وفي قيام الليل لتكوين المسلم والداعية عدة عناصر:

١- الإخلاص: وهو أن يبتغي بدعوته وجه الله سبحانه.

٢- التميز: وهو ضرورة لشخصية الداعية لأن الشعور بالتميز هو الذي يعطي للمسلم في نفسه دافع الدعوة لغيره حيث أن هذه الصلاة لا يقوى عليها إلا من تفرد وتميز بالعزم والقوة.

٣- الإرادة: فصلاة التهجد معالجة لنوعي الإرادة: البدء والاستمرار حيث نجد في هذه الكيفية طول الصلاة ليتم من خلالها تربية الداعية على إرادة الاستمرار.

٤- الاتزان النفسي: في ظروف الاستضعاف(٨).

وقد سبق الإشارة إلى فضيلة قيام الليل، وعبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه.

* * *

٦- ذكر الموت والدار الآخرة وقصر الأمل: فقد جاء في الحديث عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيلٍ".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان ابن عمر – رضي الله عنهما – يقول: "إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك". [رواه البخاري].

وجاء أيضًا عن أنس رضي الله عنه قال: خط النبي – صلى الله عليه وسلم – خطوطاً فقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاء الخط الأقرب". [رواه البخاري].

وأيضًا عن ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – قال: خط النبي – صلى الله عليه وسلم – خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيطاً به – أو قد أحاط به – وهذا الذي هو خارجٌ أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا، نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا". [رواه البخاري].

وكذلك؛ ذكر الموت هادم اللذات وزيارة قبور الموتى مما يزيد رصيد الإيمان في القلب ويحقر شأن الدنيا في نظر المسلم الصادق فلا يتعلق قلبه بغير الله والدار الآخرة ولا تلتفت نفسه إلى متاع الدنيا الفانية لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧].

وقال – أيضًا – مذكرًا بوعده الحق: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ [ق:١٩، ٢٠].

وقد حوت سورة "ق" من حقائق الموت وحقائق الآخرة الكثير من المشاهد التي تورث القلب خوفًا ووجلاً وقربًا وطمعًا في عفوه وكرمه تعالى ووصية للدعاة أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكثروا من تلاوتها وكيف لا وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكثر منها على المنبر في يوم الجمعة ولنا فيه الأسوة الحسنة([9]).

وجاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أكثروا ذكر هاذم اللذات يعني الموت". [رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، وصححه الألباني].

فلا ينبغي أن يغفل المسلم عن ذكر دار مستقره في الآخرة، وعن أنه راحل عن الدنيا، فلا تعتريه الغفلة وهو في سكرة الدنيا والأموال والتجارة غافلًا ناسيًا، وقد بين الله ذلك في كتابه.

فقال تعالى: ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمَوالكُم ولا أَولادكُم عَن ذِكرِ الله، ومن يَفعَلْ ذلِكَ فَأُولَئِكَ هم الخاسِرُونَ، وأنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبلِ أَن يأتِي أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَولا أَخَّرْتَني إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ، ولن يُؤَخِّرَ الله نَفساً إذَا جَاءَ أَجَلُهَا واللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٩ – ١١].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ لَعَلِّي أعمَلُ صَالحاً فِيما تَرَكتُ كَلاَّ إنَّهَا كَلِمَةٌ هو قَائِلُهَا وَمِن ورَائِهم بَرْزَخٌ إلى يَوْم يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠].

فالموت لا محالة منه ولا فرار، فلا بد من الاستعداد له، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ وَإنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُم يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عنِ النَّارِ وأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فَازَ وما الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وما تَدرِي نَفسٌ مَاذا تَكْسِبُ غداً وما تَدرِي نَفسٌ بِأَيِّ أَرضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُم لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولا يَستَقدِمون ﴾ [النحل: ٦١].

وفي الحديث عن بريدة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها". [رواه مسلم].

* * *

٧- **الحذر من مقارفة الذنوب والمحرمات مع ملازمة التوبة النصوح**: ونحن نرى - يا شباب الإسلام - في كتاب الله - تعالى -، وفي السنة النبوية، الدعوة الدائمة إلى تَرْك المحرَّمات والكبائر، والنَّهى عن الوقوع في الإثم والمعصية، وعن الانغماس في شهوات النفس وملذَّاتها، والبعد عن كلِّ ما يؤدي إلى سبيلها.

إن تحريم القرآن لكل ما يهدم الإنسانية ويدمِّر الحضارات، ودعوتَه إلى تَرْك ذلك ونبْذِه، والإعراض عن الطرق الموصِّلة إليه، لَهُو غرضٌ نبيل، وهدفٌ كريم، يسعى القرآن في دعوته إلى الوصول إليه، وإلى جعْلِه منهجَ حياةٍ واقعيًّا.

يَحفظ به المجتمعاتِ والأفرادَ مِن مَهاوي الشرور والمعاصي، والتلطُّخ بآثامها وأوزارها، من الشرك بالله - تعالى - والإلحاد، والانتماء إلى المذاهب الإلحادية بجملتها، والكفر بكل صُوَره، وعقوق الآباء والأمهات وامتهان حقوقهما، والظلم بكل صوره أيضًا، والسِّحر الذي هو باب كبير في إيذاء العباد.

وكذا أنواع أخرى، كترك الجُمَع والجماعات، والعُرْي والتبَرُّج والسُّفور، وتحكيم غير شرع الله - تعالى - والتولِّي من أرض الحرب يوم الزَّحف، وغشِّ المسلمين وتطفيف الموازين، وأكْل أموال الناس بالباطل وبالربا، والظلم والسرقة والرِّشوة، والحِيَل والمكْر التي يُتوصَّل بها إلى الفواحش والمنكرات، وشرب الخمور، وإهدار الأموال في غير طريقها الشرعي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وغير ذلك كثير ومشهور في كتب أهل العلم التي أبانت عن خطر الكبائر والذنوب على البشرية، في كل مجالات الحياة وضُروبها، ولعلَّ مِن أشهرها كتابَ "الكبائر" للإمام الذهبي - رحمه الله تعالى.

ثم اعلموا - أيها الشباب - أنَّ جوهر الدِّين يتمثَّل في مظهرين:

أداء الفرائض، واجتناب النواهي، بل إنَّ اتِّقاء المحارم أجْلَى مظهر للعبادة، وأقربُ طريق إلى صدق الإيمان؛ كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "اتق المحارم تكُنْ أعبدَ الناس"؛ حسَّنه الألباني.

ومن هنا يحاذر المسلم أن يُسْخِط ربَّه، أو يتعدَّى حدوده، أو ينتهك حرماته؛ فيجانب المحرمات، ويجعل بينه وبينها سدًّا منيعًا من الخشية والتقوى، وهو إنْ فَعَل ذلك بإيمانه وتقواه واستقامته وهداه، فإن حقائق الحياة تُثبِت صدق نظرته وسلامة اتجاهه.

فإن المحرَّمات تمثِّل الخطر الذي يهدِّد الإنسانية ويجلب عليها الدَّمار، هكذا أثبتت حقائق العلم والحياة؛ ولهذا حرمها الله، وتوعَّد المخالفين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

خطر يجب تداركه:

أيها الشباب: إن الإنسانية توشك على الانزلاق في مهاوي الهلاك، والهبوط إلى درجات الحيوانيَّة وهي تسير وراء المفْسِدين الذين يتملَّقون الغرائز، ويسترضون الشهوات.

إن التحرُّج من المحرمات شارة من شارات النُّبل والارتفاع، ودليل يقظة الفكر وكمال العقل، والذي لا يتحرَّج مما حرم الله عليه يَسْهل عليه الانفلات من كل قيد، والهروب من كل تَبِعة، والخيانة لكل عهد.[١٠]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا الانحراف يهبط بالمستوى الإنساني، ويَحُول بينه وبين التطهُّر والتسامي، فتسقط قيمته، ويرذل قدره، وينحطُّ إلى الدَّرَك الذي يعوقه عن النهوض بتَبِعات الحق والخير.

وحين يصل المرء إلى هذا المستوى، لا تكون له رسالة سامية، ولا هدف كريم، ولا مَثَل أعلى، وإنما تتَّجه جميع قُوَاه إلى تحقيق ذاتيته، وإشباع غرائزه، وإيثار مصالحه الخاصة، وتنكُّره للمصالح العامة، ويوم أن تخلو الدنيا من الضمائر والمُثُل العليا، تتحوَّل الحياة إلى صراع يكون أشدَّ هولاً، وأبعدَ أثرًا من صراع الحيوانات المفترسة[١١].

إنَّ علَّة التحريم في كل ما حظره الإسلام جلية واضحة، تَستهدف خير الإنسان، وترعى نفع الإنسانية، وليس ذلك سلبًا لحرية الإنسان ولا إعناتًا له، بل إن هذا سبيل لتحرُّر الإنسان ذاتِه من عبودية الشهوات والملذات البغيضة.

وكل مجالات الحياة فيها مباحات، وفيها محظورات يُمنع الفرد منها؛ رعايةً لصالح الجماعة في السياسة والاقتصاد، وفي الحرب، وفي كل مجالات المعاملات والارتباط.

إن الإنسانية لا يمكن أن تتقدم بغير هذا السلوك، فالفوضى والإباحية لا تتفق مع حضارة ولا تقدُّم، ولا تصلح بها حياة، ولا يطمئن في ظلالها إنسان.

إذًا؛ علينا أن نعلم أن الذنوب والمعاصي هي أسرع طريق لإهلاك البشرية والحرث والنسل، وأن أعظم طريق للتخلص منها دائمًا يكون بالاستعانة بتقوى الله تعالى في الظاهر والباطن، وملازمة التوبة في كل حين، وقد أمرنا الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – بالتوبة والإنابة دائمًا.

قال الإمام النووي – رحمه الله –: قال العلماء: التوبة واجبةٌ من كل ذنبٍ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدميٍ؛ فلها ثلاثة شروطٍ:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدميٍ فشروطها أربعةٌ: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذفٍ ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبةً استحله منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي.

وقد تظاهرت دلائل الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة على وجوب التوبة: قال الله – تعالى –: ﴿ وتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعاً أَيُّه الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٣].

وقال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذين آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾ [التحريم: ٨].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرةً". [رواه البخاري].

وعن الأغر بن يسار المزني – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرةٍ". [رواه مسلم].

وعن أبي حمزة أنس بن مالكٍ الأنصاري خادم رسول الله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرضٍ فلاةٍ". [متفقٌ عليه].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي رواية لمسلمٍ: "لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فلاةٍ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح".

وعن أبي موسى عبد الله بن قيسٍ الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الله – تعالى - يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها". [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه". [رواه مسلم][١٢]..

* * *

٨- الحذر من آفة الغفلة القاتلة: أيها الشباب: لا ريبَ أنَّ الأمم تمرُّ بمِحنٍ وشدائد، تهذِّبها تارة، وتربِّيها تارة، وتَرْفع عنها غبارَ الطريق تارةً أخرى، كما أنَّ المِحن قد تكون صورةً من العقاب والتوبيخ، وإنَّ مِن المحن والرزايا التي أصابتْ أمَّتَنا اليوم في مقتلٍ: الغفلةَ بما تعنيه هذه الكلمة من معانٍ وحقائق، مِن التِّيه والنسيان، في شتَّى مجالات الحياة البشرية.

يقول الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر، في تقديمه لكتاب "في مهب المعركة"، مصورًا هذه الظاهرة: "وأشدُّ النكبات التي يُصاب بها البَشرُ نكبةُ الغفلة..."؛ "مالك بن نبي، في مهب المعركة، تقديم محمود محمد شاكر".

والغفلة آفةٌ قاتلة، وداءٌ عُضال فتَّاك، وطريق يكثر فيه السالكون إلاَّ مَن رَحِم الله تعالى، دبَّ هذا الداء في جَسَد الأمَّة الإسلامية منذ عدَّة قرون، وأقعَدها عن سبيلها، وأوْهن مِن قُواها، وشغلها أيَّما شغل عن رسالتها وغايتها في هذه الحياة الدنيا، والمتأمِّل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في آيات القرآن يرى أنَّ الله - تعالى - قد أنذر وحذَّر مِن هذا الداء المهلِك، الذي أصابَ الأُمم، وأقعدَها عن السبيل الأَمَم، بل وحلَّ بها عقاب الله - تعالى - المعجَّل؛ كما قال - تعالى -: في كتابه لرسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس: ٦، ٧].

قال ابن سعدي - رحمه الله تعالى - في تفسيره: "وهم العرب الأُميُّون، الذين لم يزالوا خالين مِن الكتب، عادمين الرُّسل، قد عمتْهم الجهالة، وغمرتْهم الضلالة، وأَضحكوا عليهم وعلى سفههم عقولَ العالمين، فأرسل اللهَّ إليهم رسولاً مِن أنفسهم، يُزكِّيهم ويُعلِّمهم الكِتاب والحِكمة، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميِّين، ومَن لحق بهم من كلِّ أُمِّي، ويذكر أهل الكتب بما عندَهم من الكتب، فنِعمة اللهَّ به على العرب خصوصًا، وعلى غيرهم عمومًا، ولكن هؤلاء الذين بُعثتَ فيهم لإنذارهم بعدَما أنذرْتَهم، انقسموا قسمين: قسم ردَّ ما جئتَ به، ولم يقبلِ النذارة، وهم الذين قال اللهَّ فيهم: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾؛ أي: نفذ فيهم القضاءُ والمشيئة، أنَّهم لا يزالون في كُفْرهم وشِرْكهم، وإنما حقَّ عليهم القول بعدَ أن عرض عليهم الحق فرَفضوه، فحينئذ عُوقِبوا بالطبْع على قلوبهم"؛ [١٣].

وقال صاحب "الظلال" - رحمه الله -: "والغفلة أشدُّ ما يُفسِد القلوب، فالقلْب الغافل قلْب مُعطَّل عن وظيفته، معطَّل عن الالْتقاط والتأثُّر والاستجابة، تمرُّ به دلائلُ الهدى، أو يمرُّ بها دون أن يحسَّها أو يدركها، ودون أن ينبض أو يستقبل، ومِن ثَمَّ كان الإنذار هو أليقَ شيء بالغفلة التي كان فيها القوم، الذين مضتِ الأجيال دون أن ينذرَهم منذِرٌ، أو ينبههم منبِّه، فهم مِن ذرية إسماعيلَ، ولم يكن لهم بعدَه من رسول، فالإنذار قد يُوقِظ الغافلين المستغرقين في الغفلة، الذين لم يأتِهم ولم يأتِ آباءَهم نذير.

ثم يكشف عن مصير هؤلاء الغافلين، وعمَّا نَزَل بهم من قدر الله، وَفقَ ما علم الله مِن قلوبهم ومِن أمرهم، ما كان منه وما سيكون: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُؤْمِنُونَ ﴾.. لقد قُضِي في أمرهم، وحَقَّ قدرُ الله على أكثرهم، بما علِمه من حقيقتهم، وطبيعة مشاعرهم، فهم لا يؤمنون، وهذا هو المصيرُ الأخير للأكثرين، فإنَّ نفوسهم محجوبةٌ عن الهدى، مشدودةٌ عن رؤية دلائله أو استشعارها"؛ [١٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧، ٨].

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: "يقول الله - تعالى - مخبرًا عن حال الأشقياء الذين كفروا بلِقاء الله يومَ القيامة، ولا يرجون في لِقاء الله شيئًا، ورَضُوا بهذه الحياة الدنيا، واطمأنَّتْ إليها أنفسُهم.

قال الحسن: والله ما زيَّنوها ولا رفعوها، حتى رضُوا بها، وهم غافلون عن آياتِ الله الكونيَّةِ فلا يتفكَّرون فيها، والشرعيَّةِ فلا يأتمِرون بها؛ بأنَّ مأواهم يومَ معادهم النار، جزاءً على ما كانوا يكسِبون في دنياهم من الآثام والخَطايا والإجرام، مع ما هم فيه من الكُفر بالله ورسوله واليوم الآخِر"؛ [١٥].

وهنا تأتي آياتُ القرآن تُوحي بعاقبة الغافلين عن آيات الله ورسالاته؛ قال تعالى: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتأتي آياتٌ أخرى تُبصِّر الناس بطريق الهدى، وصُحْبة الصالحين المتقين، وتحذِّر من طريق الرَّدَى، وصُحْبة الأشقياء الغافلين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

إنَّ الغفلة أمرٌ وارد على النفس البشرية، ولكن حسْب الإنسانِ أن يسعى دائمًا إلى معالمِ اليقظة والبصيرة؛ حتى لا يُؤخَذ على غِرَّة مع الغافلين، سَأَلَ رجلٌ ابن الجوزي: أيجوز أن أفسح لنفسي في مباحِ الملاهي؟ فقال: "عندَ نفسك من الغفلة ما يَكْفيها"، وقال ابن القيم – رحمه الله –: "لا بدَّ مِن سِنَة الغفلة، ورُقاد الهوى، ولكن كن خفيفَ النَّوم".

وما توانَى العاملون، ولا تأخَّر الكسالى إلا بسبب الغفلة عن الآخِرة، والانشغال عن العمل للآخِرة، أمَّا أهل الصلاح فهُم خلاف ذلك؛ كما أخبر تعالى: ﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ [النور: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

إنَّ الدنيا سرعانَ ما تبلَى، وعمَّا قريب ستفْنَى، وليس لها عندَ الله شأنٌ ولا اعتبار، وإنما هي قنطرة إلى الجنة أو النار؛ يقول عزَّ وجلَّ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحياةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٌ وَمَا الْحياةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –: أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((إنَّ الدنيا حُلوةٌ خَضِرة، وإنَّ الله تعالى مُستخلِفُكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدنيا، واتَّقوا النِّساء))؛ [رواه مسلم في صحيحه].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إنَّ المخرَج لأمتنا من هذه الغفلة، وطوقَ النجاة لها، لا يكاد يغيب عنَّا في آيات القرآن المُنْزَل، ولا في وحي النبيِّ المُرْسَل - صلَّى الله عليه وسلَّم - حيث الاعتصامُ والاستمساك بحبْل الله ورسوله، وتحقيق الوحْدة بالأُخوة الإيمانية؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهَّ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهَّ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُّ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال الشافعي: الجماعة لا تكون فيها غفلة عن معْنى كتاب الله وسُنَّةٍ ولا قياسٍ، وإنَّما تكون الغفلة في الفُرْقة.

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهَّ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٥].

وقال - تعالى - أيضًا: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

وكما جاء في حديث عبد الله بن مسعود قال: خطَّ لنا رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - خطًّا، ثم قال: ((هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شِماله، وقال: هذه سُبلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ الآية))؛ [رواه أحمد والنسائي والدارمي، وصحَّحه الألباني].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي خُطبة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - في حجَّة الوداع حثَّ على التمسُّك بالكتاب والسُّنة، حيث قال: ((وقد تركتُ فيكم ما إنِ اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبدًا، أمرًا بينًا: كتابَ الله، وسُنَّة نبيه))؛ [رواه مالك].

فالاعتصامُ بالله ورسوله نجاةٌ للأمَّة من طوق الغفلة، وهدايةٌ لها إلى الطريق الصحيح، فلا الْتواءَ ولا اعوجاج، ولا زيغَ ولا انحراف، ولا بِدعَ ولا أهواء.

* * *

٩- المحافظة على أعمال اليوم والليلة: ومما يجدد الإيمان في قلوبكم - يا شباب الإسلام - المحافظة الدائمة على أعمال اليوم والليلة، من الطاعات والأذكار، والسنن والرواتب الواردة والمؤكدة والمستحبات، وكم لها من آثر عظيم، ووقع كبير في تهذيب النفس وصفائها.

فمن ذلك؛ الغرة والتحجيل في الوضوء والطهارة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته، فليفعل". [متفقٌ عليه].

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : "من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره". [رواه مسلم].

وعنه- رضي الله عنه - قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- توضأ مثل وضوئي هذا ثم قال: "من توضأ هكذا، غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلةً". [رواه مسلم].

ومن ذلك؛ المسارعة إلى الصلوات في المساجد وتعميرها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: "أرأيتم لو أن نهراً بباب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحدكم يغتسل منه كل يومٍ خمس مراتٍ، هل يبقى من درنه شيءٌ ؟ ". قالوا: لا يبقى من درنه شيءٌ؛ قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا". [متفقٌ عليه].

وعن جابرٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يومٍ خمس مراتٍ". [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارةٌ لما بينهن، ما لم تغش الكبائر". [رواه مسلم].

وعن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول: "ما من امريءٍ مسلمٍ تحضره صلاةٌ مكتوبةٌ فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرةٌ، وذلك الدهر كله". [رواه مسلم].

ومن ذلك؛ كثرة المشي إلى المساجد، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال: "من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح". [متفقٌ عليه].

وعنه- رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال: "من تطهر في بيته، ثم مضى إلى بيتٍ من بيوت الله، ليقضي فريضةً من فرائض الله، كانت خطواته، إحداها تحط خطيئةً، والأخرى ترفع درجةً". [رواه مسلم].

ومن ذلك؛ التأكيد على ركعتي سنة الصبح، فعن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي – صلى الله عليه وسلم- كان لا يدع أربعاً قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة. [رواه البخاري].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعنها قالت: لم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم– على شيءٍ من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر. [متفقٌ عليه].

وعنها عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها". [رواه مسلم]. وفي روايةٍ: "لهما أحب إلي من الدنيا جميعاً".

وكذلك سنة الظهر، فعن ابن عمر، – رضي الله عنهما – قال: صليت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها. [متفقٌ عليه].

وكذلك سنة العشاء بعدها وقبلها، لحديث ابن عمر– رضي الله عنهما – صليت مع النبي – صلى الله عليه وسلم– ركعتين بعد العشاء، وحديث عبد الله بن مغفل: "بين كل أذانين صلاةٌ". [متفقٌ عليه].

وكذلك باب سنة الجمعة، لحديث ابن عمر أنه صلى مع النبي – صلى الله عليه وسلم– ركعتين بعد الجمعة. [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "إذا صلى أحدكم الجمعة، فليصل بعدها أربعاً". [رواه مسلم].

ومن ذلك أيضًا؛ سنة ركعتي الضحى، فعن أبي ذرٍ – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقةٌ: فكل تسبيحةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٌ عن المنكر صدقةٌ، ويجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى". [رواه مسلم].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يصلي الضحى أربعاً، ويزيد ما شاء الله. [رواه مسلم].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن ذلك؛ المحافظة على ركعتي تحية المسجد، فعن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين". [متفقٌ عليه].

وعن جابرٍ، - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم- وهو في المسجد، فقال: "صل ركعتين". [متفقٌ عليه].

ومن ذلك؛ المحافظة على السواك وخصال الفطرة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: "لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاةٍ". [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة، - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: "الفطرة خمسٌ، أو خمسٌ من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب". [متفقٌ عليه].

قال النووي – رحمه الله -: الاستحداد: حلق العانة، وهو حلق الشعر الذي حول الفرج.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "عشرٌ من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء". قال الراوي: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة؛ قال وكيعٌ - وهو أحد رواته - : انتقاص الماء؛ يعني: الاستنجاء. [رواه مسلمٌ].

ومن ذلك؛ ذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومضطجعاً ومحدثاً وجنباً وحائضاً، إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض – كما بين أهل العلم -، قال الله – تعالى -: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السَّمواتِ وَالأَرْضِ، وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ، الَّذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وعَلى جُنوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يذكر الله تعالى على كل أحيانه. [رواه مسلم].

وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: " لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولدٌ، لم يضره". [متفقٌ عليه].

فمن ذلك؛ استحباب الاجتماع على القراءة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده". [رواه مسلم].

ومن ذلك؛ المحافظة على الذكر عند الصباح والمساء، قال الله – تعالى –: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيْفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهَا اسمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فيهَا بالغُدُوِّ والآصَالِ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِم تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرةٍ، لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد". [رواه مسلم].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعنه- رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقربٍ لدغتني البارحة ! قال: "أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك". [رواه مسلم].

وعنه - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول إذا أصبح: "اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت. وإليك النشور". [رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن].

وعنه - رضي الله عنه - أن أبا بكرٍ الصديق، - رضي الله عنه - قال: يا رسول الله مرني بكلماتٍ أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: "اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيءٍ ومليكه. أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه قال: قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك". [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ].

وعن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: كان نبي الله - صلى الله عليه وسلم- إذا أمسى قال: "أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له". قال الراوي: أراه قال فيهن: "له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قديرٌ، رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل، وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر". وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: "أصبحنا وأصبح الملك لله". [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن خبيبٍ - بضم الخاء المعجمة - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "اقرأ: قل هو الله أحدٌ، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثلاث مراتٍ تكفيك من كل شيءٍ". [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسن صحيح].

وعن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "ما من عبدٍ يقول في صباح كل يومٍ ومساء كل ليلةٍ: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مراتٍ، إلا لم يضره شيءٌ". [رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

* * *

١٠ – **المحافظة على آداب المسلم وتحقيقها**: ومما يجدد الإيمان كذلك؛ المحافظة على الآداب النبوية، وهي آداب المسلم في ظاهره وباطنه، وما أكثر ما جاء به القرآن والسنة من آداب سامية، تهذب النفس وتهديها، وترفعها للمعالي وتزكيها.

فمن ذلك وأعظمه؛ الأدب مع الله تعالى بتعظيمه وخشيته والإنابة إليه، والتوكل عليه، والاستعانة به، والخوف منه، والرجاء فيه، وداوم مراقبته في السر والعلن، والإخلاص له، وتقواه سبحانه.

وقد قال تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩، ٢٢٠]. وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكم أَيْنَمَا كُنْتُم ﴾ [الحديد: ٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الله لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران: ٦].

وفي الحديث، عن أبي ذرٍ جندب بن جنادة، وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل – رضي الله عنهما – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسنٍ". رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما –قال: كنت خلف النبي – صلى الله عليه وسلم – يوماً فقال: "يا غلام إني أعلمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم: أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ؛ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك؛ رفعت الأقلام، وجفت الصحف". [رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ].

ومن ذلك؛ الأدب مع النبي – صلى الله عليه وسلم – بحسن السمع له والطاعة، وكمال التسليم والحب والاتباع، والحفاظ على سنته وهديه، قال الله – تعالى –: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء: ٦٥].

وجاء في الحديث، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل: ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى". [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "دعوني ما تركتكم: إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم". [متفقٌ عليه].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي نجيحٍ العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قال: وعظنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – موعظةً بليغةً وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا. قال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعةٍ ضلالةٌ". [رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

ومن ذلك؛ بر الوالدين وكمال الأدب معهما، قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَن لا تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أنِ اشْكُرْ لِي وَلوَالِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤].

وفي الحديث عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: سألت النبي – صلى الله عليه وسلم –: أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال: "الصلاة على وقتها"، قلت: ثم أيٌّ ؟ قال: "بر الوالدين"، قلت: ثم أيٌّ ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". [متفقٌ عليه].

ومن ذلك؛ صلة الأرحام، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ " النساء: ١، وقال تعالى: " وَالَّذينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ [الآية الرعد: ٢١].

وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ ". [محمد: ٢٢، ٢٣] [متفقٌ عليه].

ومن آداب المسلم أيضًا؛ حسن الضيافة للناس، وحسن الجوار لهم، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت". [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ غض البصر عن الحرمات والعورات، وستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة، وقد قال تعالى: قال الله – تعالى –: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال الله – تعالى –: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [النور: ١٩].

وجاء في الحديث، عن جريرٍ – رضي الله عنه – قال: سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن نظر الفجأة فقال: "اصرف بصرك". [رواه مسلم].

عن أبي سعيدٍ – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوبٍ واحدٍ، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد". [رواه مسلم].

وعن أبي سعيدٍ الخدري – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إياكم والجلوس في الطرقات ! قالوا: يا رسول الله مالنا من مجالسنا بدٌ: نتحدث فيها. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه"،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال: "غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة". [رواه مسلم].

وعنه– رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "كل أمتي معافىً إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه". [متفق عليه].

ومن آدابه؛ بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك، عن أنسٍ – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا تكلم بكلمةٍ أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً. [رواه البخاري].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان كلام رسول الله كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه. [رواه أبو داود].

ومن آداب المسلم؛ لزوم الوقار والسكينة في حاله، قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُوْنَ عَلى الأَرْضِ هَوْناً وَإذا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾ [الفرقان: ٦٣].

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: ما رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مستجمعاً قط ضاحكاً حتى ترى منه لهواته، إنما كان يتبسم. [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ الاستخارة والمشاورة في أموره، قال الله – تعالى –: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ في الأَمْر ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى ﴾ [الشورى: ٣٨].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجاء في الحديث عن جابرٍ – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: "إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمير خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به". قال: "ويسمي حاجته". [رواه البخاري].

ومن آدابه؛ التيمن في الأشياء وفعلها، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعجبه التيمن في شأنه كله: في طهوره، وترجله، وتنعله. [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ حسن الإصغاء من الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام، فعن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حجة الوداع: "استنصت الناس ثم قال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ". [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ حسن الموعظة مع الاقتصاد فيها، وعدم إملال الناس، قال الله – تعالى –: ﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وعن أبي وائلٍ شقيق بن سلمة قال: كان ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – يذكرنا في كل خميسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يومٍ، فقال: أما إنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يمنعني من ذلك أني أكره أن أملككم وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا بها مخافة السآمة علينا. [متفقٌ عليه].

وعن أبي اليقظان عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنةٌ من فقهه، فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة". [رواه مسلم].

ومن آداب المسلم؛ توقير العلماء والكبار وأهل الفضل منهم وحفظ سابقتهم وعلمهم، فعن أبي مسعودٍ عقبة بن عمرو البدري الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً، فأقدمهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فأقدمهم سناً ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه". [رواه مسلم]. وفي روايةٍ له: "فأقدمهم سلماً" بدل سناً: أو إسلاماً.

وفي روايةٍ: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءةً، فإن كانت قراءتهم سواءً فيؤمهم أقدمهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فليؤمهم أكبرهم سناً".

ومن آدابه، الحب في الله وتحقيق الأخوة الإيمانية، فعن أنسٍ - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار". [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادلٌ، وشابٌ نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجلٌ دعته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

امرأةٌ ذات حسنٍ وجمالٍ، فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بصدقةٍ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه". [متفقٌ عليه].

ومن آداب المسلم؛ القيام بحق الأسرة رجلًا كان أو امرأة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أيضاً أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا يحل لامرأةٍ أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه". [متفقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري].

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "كلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته؛ والمرأة راعيةٌ على بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته". [متفقٌ عليه].

ومن آداب المسلم؛ الإصلاح بين الناس، والسعي بينهم بالخير، قال الله – تعالى –: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤]

وقال تعالى: ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "كل سلامى من الناس عليه صدقةٌ كل يومٍ تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقةٌ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقةٌ. والكلمة الطيبة صدقةٌ، وبكل خطوةٍ تمشيها إلى الصلاة صدقةٌ، وتميط الأذى عن الطريق صدقةٌ". [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ البذل والجود والنفقة في سبيل الله، فعن جابرٍ – رضي الله عنه – قال: ما سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئاً قط فقال: لا. [متفقٌ عليه].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ما من يومٍ يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً". [متفقٌ عليه].

وعنه – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: قال الله – تعالى –: "انفق يا ابن آدم ينفق عليك". [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ الورع وترك الشبهات والإعراض عنها سلامة لنفسه ودينه، خاصة مع النساء، قال الله – تعالى –: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وعن عقبة بن عامرٍ – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إياكم والدخول على النساء". فقال رجلٌ من الأنصار: أفرأيت الحمو ؟ قال: "الحمو الموت". [متفقٌ عليه].

والحمو – كما بين أهل العلم – هو: قريب الزوج كأخيه، وابن أخيه، وابن عمه، وذلك لظاهر الأمن من جانبه.

وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا يخلون أحدكم بامرأةٍ إلا مع ذي محرمٍ". [متفقٌ عليه].

وعن بريدة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، ما من رجلٍ من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله، فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما ظنكم ؟ ". [رواه مسلم].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن النعمان بن بشيرٍ - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن الحلال بينٌ، وإن الحرام بينٌ، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملكٍ حمىً، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهي القلب". [متفقٌ عليه].

ومن آداب المسلم، طاعة ولاة الأمور في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية، قال الله – تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصيةٍ، فإذا أمر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة". [متفقٌ عليه].

وعنه- رضي الله عنه - قال: كنا إذا بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة يقول لنا: "فيما استطعتم". [متفقٌ عليه].

وعنه - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "من خلع يداً من طاعةٍ لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعةٌ مات ميتةً جاهليةً". [رواه مسلم]. وفي روايةٍ له: "ومن مات وهو مفارقٌ للجماعة، فإنه يموت ميتةً جاهليةً". الميتة بكسر الميم.

وعن أنسٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشيٌ، كأن رأسه زبيبةٌ". [رواه البخاري].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرةٍ عليك". [رواه مسلم].

ومن آداب المسلم؛ إنفاذ الوعد والعهد، والحذر من الخلف فيهما، إلا من عذر شرعي، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" [متفقٌ عليه].

زاد في روايةٍ لمسلم: "وإن صام وصلى وزعم أنه مسلمٌ".

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها؛ إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر". [متفقٌ عليه].

وهذا الباب كثير وجليل، وفيه من الآداب السامية، والأخلاق الفاضلة الكثير، وإنما نبهت على بعض منها.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* الهامش:

([1]) شخصية المسلم (ص١٣٨).
([2]) نفس المصدر (ص١٤٢).
([3]) ماذا خسر العالم للعلامة أبي الحسن الندوي (ص٢٣٥).
([4]) تيسير الكريم الرحمن: لابن سعدي.
([5]) مدارج السالكين لابن القيم.
([٦]) أخرجه ابن أبي حاتم.
([٧]) اعتقاد أئمة الحديث.
([8]) حكمة الدعوة رفاعي سرور (ص٤٤-٤٦).
([9]) أنظر الفوائد لابن القيم.
([10]) شخصية المسلم، د. مصطفى عبد الواحد.
([11]) إسلامنا، للسيد سابق.
([١٢]) رياض الصالحين، باب التوبة، للإمام النووي.
([١٣]) تفسير العلامة ابن سعدي.
([١٤]) في ظلال القرآن لسيد قطب.
([١٥]) تفسير ابن كثير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل العاشر

الاهتمام بالدعوة إلى الله تعالى وفقهها

أيها الشباب:

بعد كل هذه الرحلة مع التوجيهات والكلمات، بقيت لنا محطة عظيمة الشأن، رفيعة القدر، وهي الحمل الكبير بعد ذلك على سواعدكم وأكتافكم، إنه عبء الدعوة إلى الله – تعالى – ودينه، والحركة لها، والصبر عليها، وذلك بعد تعلم فقه الدعوة الإسلامية ومراتبها ومراحلها، ثم الانطلاق إلى ميدانها الكبير الواسع، لتسعوا الناس بأخلاقكم، ودعوتكم، وكلماتكم الصادقة الموقظة، وتبلغوا رسالات الله إلى كل العالمين، في ثبات لا يتزعزع، ويقين لا تشوبه الشوائب، وهمة لا تفتر، وصدق لا يكذب.

وهنا ننبه على كلمات وإشارات، في ذلكم الميدان الكبير، فنقول:

أولًا: الالتفات إلى ما عند الله – تعالى – من الأجر والثواب للداعية:

ذلك أن الداعية إلى الله – تعالى – لا يعمل لحساب مخلوق، ولا يعمل لتحصيل منافع دنيوية فانية، وإنما هو عامل بحق العبودية لله تعالى، قائم بأمر الله ورسوله، مبلغ منهج الله إلى الناس، ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فالدعوة أمر من الله – تعالى –، وأجرها أيضًا لا يكون إلا على الله، وهذا ما أعلنه كل أنبياء الله ورسله كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[الشعراء: ١٠٦-١٠٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

ثم إن على الداعية – أيها الشباب – أن يلتفت إلى ما عند الله من الأجر والثواب لأن أجره عند الله عظيم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم". [متفق عليه].

وفي الحديث عن أبي مسعود الأنصاري قال جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: إني أبدع بي فاحملني، فقال: "ما عندي". فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله" . [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "من دعا إلى هدًى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا". [رواه مسلم].

ثم إن الداعية قد يصيبه شيء من الضجر والألم النفسي، لما يرى من صدود الناس عنه، وردهم لدعوته، وإعراضهم عنها، ومحاولة إيذائه أحيانًا، وصده أحيانًا أخرى، فعندها يلتفت إلى ما ينتظره من الأجر والنعيم في الآخرة، وما أعده الله – تعالى – لأوليائه وأحبابه، فيخفف ذلك الألم عن نفسه، ويسلي النفس بما ينتظرها في الآخرة، فتهون عليه عقبات الطريق وشدائده كما قال – تعالى – لرسوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكما قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨،١٢٧].

وإن لنا في دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - لقومه المثل الأعلى؛ وهو القائل: "لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر"، فلقد أوذي كثيرًا من صناديد الكفر، ووضعت أمامه العقبات، وسلط عليه السفهاء، وسالت منه الدماء، وكم حاول أهل الكفر صده بالإغراء والكيد، والنيل منه، بل ومحاولة قتله، ولكن الله تعالى يدافع عن نبيه ورسوله، وكذلك كل أوليائه.

ونحن اليوم نتعرض إلى صنوف وألوان من الكيد والمكر والأذي، من الكافرين والمنافقين، الصادين عن سبيل الله، والشانئين لدعوة الحق والسنة، وهؤلاء صاروا يملكون كثيرًا من المنابر الإعلامية المقروء منها والمرئي والمسموع، وصاروا يصوبون سهامهم الباطلة إلى صدور الدعاة الصادقين، والعلماء المخلصين، ويعملون على تشويه صورتهم ومكانتهم، بل ووصل بهم الأمر إلى التشكيك في ثوابت الإسلام وأصوله العظيمة، في قلوب أتباعه، وصدور حملته.

فالواجب إذًا أن نصبر على كيد هؤلاء واستعلائهم بالباطل الذي معهم، وأن نعمل لإعلاء كلمة الله – تعالى – ودينه، راغبين في ثواب الله وجنته، وعلى ثقة ويقين من نصره ووعده بالخلافة والتمكين.

لكننا لا نيأس ولا نتخلف عن الركب، ولنعلم أن كل هذا النصب والأذى والكيد يزول عن أول قدم على توضع على باب الجنة بإذن الله – تعالى -؛ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧،١٠٨].

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيًا: التزود من سير الدعاة والصالحين على طريق الدعوة:

ثم اعلموا – أيها الشباب – الداعية إلى الله – تعالى – ليس في الميدان وحيدًا، ولا يسير في الطريق وحده، وإنما هو واحد من كثير من السابقين على الطريق، فعليه أن يأخذ الزاد ممن سبق، وأن ينظر في سيرهم، ويلتمس العبرة في منهجهم ودعوتهم، وأخلاقهم وعبادتهم، وأن يتزود من معينهم، ويعمل كما عملوا، ويصبر كما صبروا ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وفي نظر الداعية الصادق إلى السابقين دروس وعبر، من التبليغ للرسالة، والصبر على الكيد والمكر، وسعة الصدر للناس، وسعة الأفق في التعامل في الأحداث الجارية، والتخلق بآداب وأخلاق الدعاة الموفقين من الله تعالى.

ولو تأملنا بعضًا من سور القرآن لوجدنا المثل الأعلى لكل داعية إلى الله على طريق الدعوة، وهذا المثل الجليل يتمثل في "أنبياء الله ورسله عليهم السلام"، وهم ولا ريب أول الدعاة إلى طريق الله وعبادته وتوحيده، فلكم دعوا إلى توحيد الله تعالى أقوامهم، ولكم أوذوا في سبيل الله، ولاقوا من الصدود والكيد، وصنوف الإيذاء والإعراض.

فهذا أول رسل الله إلى قومه نوح – عليه السلام –، يأمره الله بدعوتهم، وتبليغهم، وإخراجهم من عبادة الأوثان والأصنام، إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومكث فيهم قرابة الألف عام، يدعوا بكل السبل في السر والجهر، في الليل والنهار، في النوادي والمجتمعات حتى جاء وعد الله كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وهذا إبراهيم – عليه السلام –، يدعوا قومه ويأخذ بيدهم إلى الله، ويحمل دعوته بهمة عالية، حتى أنه أجهز على أصنامهم فحطمها، وجعلها جذاذًا، وتعرض للحرق في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النار، ومع ذلك صبر وجاهد كما قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧].

وهذا يوسف – عليه السلام –، ولكم تعرض إلى صنوف من الابتلاءات والمحن منذ صغره، فلقد ألقي في الجب، وبيع مملوكًا، ودخل السجن في محنة امرأة العزيز، فما كلّ ولا ملّ، لكنه دعا إلى الله وهو في سجنه إلى توحيد الله – تعالى – وعبادته دون ما سواه كما قال تعالى: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

وهذا موسى – عليه السلام –، يتعرض لكثير من الإيذاء من بني إسرائيل، ويرى ألوانًا من عنتهم وشدتهم، ومع ذلك صبر كثيرأ كما قال الله – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وكما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر".

وهذا النبي – محمد صلى الله عليه وسلم –، سيد الدعاة والمصلحين، صاحب المثل الأعلى الفريد، يدعوا إلى توحيد الله تعالى وعبادته، فيواجه من قريش وكفارها بصنوف وألوان من الكيد والعنت، والمكر والصد، حتى تآمر القوم – كما روت لنا كتب السير – على قتله، والاستراحة منه ومن دعوته.

لكن الله – تعالى – كان في كل موقف مؤيده ونصيره، حتى مكن الله له ولصحابته الكرام، وهاجروا إلى المدينة، وقامت لهم الدولة والخلافة، بعد صبر وجهاد ويقين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكم بين الله ذلك في كتابه العزيز كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ [المدثر: ١-٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٧،٨٨].

ولا ينسى الداعية بعد هذا أن ينظر في عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم -، ليأخذ منها خير زاد، فلقد كان يقوم من الليل حتى تورمت قدماه، ويصلي ويطيل القراءة والقيام والركوع والسجود، وكان كثير الصيام والذكر، والسعي لحوائج الناس والضعفاء، ولا يرد سائلًا، ولا ينهر مخالفا.

وقد قال – تعالى – له في كتابه: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٨-٨٠].

وقال أيضًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ١-٤].

فهذا بعض من أمرهم ودعوتهم، يجب على الداعية أن يطالعه ويقف معه طويلًا، على طول الطريق، عندها تهون عليه شدائد الطريق وآلامه، ويعلم أن العاقبة له لا لأعدائه، وأنه مؤيد منصور، لأنه على درب الأنبياء والمرسلين يسير، ومن قصصهم يأخذ الزاد والعبرة؛ ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثًا: الاهتمام بترتيب الأولويات في الدعوة:

والاهتمام بترتيب الأولويات وتعلم فقهها من أهم قواعد الانطلاق الدعوي الصحيح، والتخبط في هذا الباب، والاستهانة به، لا ريب أنه مخالف للنصوص الشرعية الواضحة من الكتاب والسنة، وعمل أهل العلم وسلف الأمة، كما أنه طريق بعيد عن الوصول إلى جنى الثمار الحقيقية للدعوة إلى الله تعالى، كما أنه بعد ذلك عقبة في طريق العمل الإسلامي وتقدمه.

والإشكال هنا أن كثيرًا من الناس عندما ينطلق في طريق الدعوة إلى الله، لا يلتفت كثيرًا إلى أهمية هذا الفقه ومكانته، ولا إلى العواقب والنتائج من وراء تركه، هذا من جانب، أما على الجانب الآخر فنجد فريقًا آخر قد احتفى بهذا الباب، وعني بها أيما عناية، إلا أنه حيزه إلى فكر بذاته، أو اتجاه دعوي بذاته، ثم ينزل في هذا الاتجاه بعد ذلك النصوص الواردة، والتي يرجوا منها أن تؤكد وجهته، وتدعم دعوته، وكلا الأمرين بهذا التصور العقلي والفكري طرفي نقيض.

والحق؛ أن الأمر لا يرجع إلا اجتهاد بشري، أو فكري دعوي، إنما مرجعه إلى الشرع، وإلى ما دلت عليه نصوص الشرع من الكتاب والسنة، لأن الدعوة إلى الله – تعالى – من الواجبات الشرعية المأمور بها، والتي بها تكون خيرية الأمة المسلمة دائمة، فلا بد إذًا أن يجتمع الدعاة إلى الله تعالى على هذه القاعدة، ثم بعدها نرى..

ونحن إذا تأملنا دعوة كل الأنبياء والرسل – عليهم السلام –، من خلال القصص الوارد عنهم في القرآن، ظهر لنا وبدون لف أو مواربة، أنهم جميعًا متفقون ابتداءً على الدعوة إلى توحيد الله – تعالى – وإفراده بالعبادة، ثم بعد هذا الأمر ينطلق النبي والرسول بدعوة قومه بما هو أولى لهم، وأهم في واقعهم، لا في واقع غيرهم من الأمم والأقوام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد قال – تعالى – في هذا عن دعوة جميع الأنبياء والرسل: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُواْ عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧]، إلى غير ذلك من الآيات..

ثم بعد إقرار هذا الأصل العظيم من التوحيد لله – تعالى –، والتوجه له وحده بالعبادة دون ما سواه من الآلهة الباطلة، نجد أن كل نبي ينطلق في علاج أمراض أمته، وقضاياها المصيرية، فنجد على سبيل المثال نبي الله إبراهيم – عليه السلام – يرسخ قضية التوحيد ونبذ الشرك وعبادة الأصنام الباطلة المدعاة من دون الله، وكذلك كانت قضية نبي الله نوح – عليه السلام –، بينما نجد أن نبي الله شعيبًا – عليه السلام – قام يدعوا بعد العقيدة والتوحيد إلى تطهير المجتمع من داء الغش والتطفيف في البيع والشراء، ونجد نبي الله لوطًا – عليه السلام – يحذر قومه من الفواحش واللواط والشذوذ والمنكرات، وهكذا صارت دعوة كل الرسل – عليهم الصلاة والسلام – في طريقها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فدعوتهم تقدم الأهم فالمهم، ولقد اتفقوا جميعًا على أصل الانطلاق الدعوي، نحو التغيير والإصلاح لأممهم وأقوامهم، ونحن لنا فيهم الأسوة الحسنة في ذلك ولا ريب.

وحسبنا هنا دعوة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، والتي كان عمادها أولًا على التأسيس على التوحيد والعقيدة، حيث وجدنا في سيرته – صلى الله عليه وسلم – أنه ظل في دعوة الناس من الكفار والمشركين فترة طويلة في مكة، تزيد على الثلاثة عشر عامًا، وكان القرآن ينزل ويؤكد هذا جليًا، ولهذا كانت السور القرآنية التي نزلت بمكة تزيد كثيرًا، على السور التي نزلت بالشرائع والأحكام بعد هذا في المدينة.

كما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يؤكد هذا الأمر في تقديم الأهم فالمهم في دعوة الناس وتعليمهم شريعة الإسلام العظيمة، فقد روى أبو داود بسنده؛ عن ابن عباس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث معاذًا إلى اليمن فقال: "إنك تأتي قوما أهل كتاب؛ فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات، في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب".

فتأمل كيف علم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معاذًا – رضي الله عنه – أصول الدعوة، وأولوياتها، وكيف أرشده إلى التدرج في الدعوة والتعليم مع الناس، وذلك حتى لا ينفروا من كثرة التعاليم عليهم، وحتى يكون أدعى لقبول الإسلام وتطبيقه في واقعهم.

ثم نجد خبرًا آخر في تقديم الإيمان والعمل به على غيره من شرائع الإسلام، كما جاء عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أي العمل أفضل؟ قال: "إيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". قيل: ثم ماذا؟ قال: "حج مبرور". [متفق عليه].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها: قول لا إله إلا الله وأدناها، إماطة الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان". [متفق عليه].

كما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – يؤكد في مواقف كثيرة على مسائل الإيمان والعقيدة، وحتى في تعليم الناس والشباب كما جاء الحديث عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومًا فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف". [رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح].

وكذلك التأكيد على أعمال القلوب من الخوف والرجاء والتوكل والخشية والصدق وغيرها، فعن أبي ثابتٍ، وقيل: أبي سعيدٍ، وقيل: أبي الوليد، سهل بن حنيفٍ، وهو بدريٌّ، - رضي الله عنه - أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "من سأل الله - تعالى - الشهادة بصدقٍ بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه". [رواه مسلم].

وعن عمر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "لو أنكم تتوكلون على الله حق وتوكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً". [رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ].

وعن أبي عمروٍ، وقيل: أبي عمرة سفيان بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: "قل: آمنت بالله، ثم استقم". [رواه مسلم].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إذًا هذا هو منهج النبوة في الدعوة إلى الله – تعالى –، والاهتمام بفقه الأولويات في مسار الدعوة والعمل الإسلامي المعاصر، لكن في ذات الوقت علينا أن نعلم؛ أننا لا نغفل مع هذا كما يقال كثيرًا من مسائل الواقع الأليم لحال الأمة الإسلامية اليوم، ولكن لكل حال مقال، ولكل واقع فقهه وأولوياته، وإن الإغراق في الواقع بعيدًا عن تأصيل العقيدة الصحيحة، والتربية الإسلامية الرشيدة، هو ضرب من التكلف والبعد عن منهاج النبوة.

كما قال العلامة الألباني – رحمه الله تعالى –: "القول الوسط الحق في "فقه الواقع": فالأمر إذًا كما قال الله – تعالى –: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٢] ففقه الواقع بمعناه الشرعي الصحيح؛ هو واجب بلا شك، ولكن وجوبًا كفائيًا، إذا قام به بعض العلماء سقط عن سائر العلماء، فضلًا عن طلاب العلم، فضلًا عن عامة المسلمين.

فلذلك يجب الاعتدال بدعوة المسلمين إلى معرفة "فقه الواقع". وعدم إغراقهم بأخبار السياسة وتحليلات مفكري الغرب وإنما الواجب دائمًا وأبدًا، الدندنة حول تصفية الإسلام مما علق به من شوائب.

ثم تربية المسلمين: جماعات وأفرادا على هذا الإسلام المصفى، وربطهم بمنهج الدعوة الأصيل: الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة" ([١]).

أيها الشباب:

ليعلم كل داعية أننا لا نعارض الدعوة إلى الله تعالى بمواجهة الباطل، أو مقاومة المد التنصيري الجارف، أو الاهتمام بشؤون السياسة والاقتصاد وغيرها، كلا.. ثم كلا؛ لأننا نرى هذه الأمور وغيرها من الأهمية والضرورة بمكان، كما أنها من شرائع الدعوة وفقهها.

لكن الإشكال أن تتحول مثل هذه القضايا الكبيرة – ولا ريب – إلى أصول واهتمامات، تفوق حجمها وكمها، في حين أن كثيرًا من الناس لا يعلمون شيئًا عن ربهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا عن أسمائه الحسنى وصفاته العلى، بل ويقعون في صور وألوان من الشرك في الأقوال والأعمال، بل ولا يعملون للآخرة حساب إلا من رحم الله، وانشغلوا بالمال والدولار، وشؤون السياسة والاقتصاد، أكثر من تلاوتهم لآيات القرآن، والعمل بشريعته وأحكامه، كما انتشرت فيهم الكثير من البدع والخرافات في باب العقيدة والعبادة.

وأيضًا مظاهر الانحراف الأخلاقي والسلوكي والفكري، واللهث وراء التقليد الأعمي للشرق والغرب، والاقتداء بمن ليسوا بأهل للقدوة في شيء.

إن الدعاة لا يغفلون عن مثل هذا، لكنهم لا يعالجون أعراض المرض، ولكنهم يعالجون أصوله وجذوره، فما من انحراف في العقيدة والعبادة والفكر والسلوك، إلا ومصدره ضعف الانتماء الصحيح لهذا الدين، والجهل الحقيقي بشرائعه وأحكامه من الكتاب والسنة.

لكننا نغرم كثيرًا بالأفكار والاتجاهات العقلية والفكرية، والتي غالبًا لا تستمد منهجها وعملها من وحي الله، وسنة رسوله، وعمل السلف الصالح، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

وبعد كل هذا لا يفوتنا أن نقول؛ إن فقه الأولويات باب عظيم ومهم، شريطة أن يلتزم الداعي إلى الله فيه منهاج النبوة، وفقه الدعوة الصحيح، من غير إفراط ولا تفريط.

لكن يرد هنا أمر آخر، وهو أن يعتقد أحد بعد هذا التوجيه والتأصيل أنه ما هو إلا ترف من النظر والفكر، ولا حاجة له في فقه الواقع، وهنا تكمن المشكلة في التصورات الخاطئة.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعًا: تنوع أساليب الدعوة والاستفادة من الوسائل الحديثة:

ثم إن تنوع أساليب الدعوة والاستفادة من الوسائل الحديثة في التبليغ؛ لا شك أنه أمر مهم في منطلقات الدعوة إلى الله – تعالى – وفقهها، ذلك أن النفس البشرية يعرض لها في طريقها ولا بد نوع من الملل والفتور، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك، فقد هلك". [رواه ابن أبي عاصم وابن حبان في صحيحه].

والداعي الفطن إلى الله – تعالى –، عليه أن يسلك في دعوته مسلك الأنبياء والرسل، وأن يقتدي بهم، وينوع في أساليب دعوته، وحسن بيانها وعرضها على الناس، فقد لا يقبل شخص الدعوة بأسلوب معين، فيمكن أن ينشرح صدره ويقبلها بأسلوب دعوي آخر، ولذلك نجد في القرآن تنوع الوسائل والخطاب في حياة الأنبياء والرسل لأممهم وأقوامهم.

فهذا نوح – عليه السلام – يذكر الله لنا من قصصه وحاله، وتنوع أساليب دعوته حيث يقول تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١-١٠].

فنبي الله نوح – عليه السلام – هنا ما ترك أسلوبًا ولا طريقة يبلغ بها دعوته إلى التوحيد والعبادة، إلا وسلكه وقام به، وهو هنا قام في مقام الشكوى لربه تعالى، قال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشوكاني – رحمه الله –: "والمقصود أنه دعاهم على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة" ([٢]).

وقال الشنقيطي – رحمه الله –: "أي؛ أن نبي الله نوحاً – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – بذل كل ما يمكنه في سبيل الدعوة إلى الله، وقد بين تعالى مدة مكثه فيهم على تلك الحالة في قوله تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطوفان وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤]" ([٣])

وهذا موسى كليم الله – عليه السلام – يقول الله عنه في خطابه لفرعون ودعوته: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦-٣٣].

فهذا نموذج من أساليب المحاورة والتبليغ في الدعوة من نبي الله موسى – عليه السلام – مع فرعون، وقد نوع حواره وكلامه بعدة صور منها قوله: "إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ"، وقوله: "إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ"، وقوله: "فَأَلْقَى عَصَاهُ"، وفي هذا بيان أيما بيان للحجة والرسالة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل وهذا نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أعظم الدعاة إلى الله تعالى، ينطلق في دعوته لقومه، ويناشدهم برسالته في النوادي والمجتمعات لقريش والمشركين، كما خرج داعية إلى الله في الطائف في تلك الواقعة المشهورة.

كما كان يلاقي الناس في مواسم الحج ويدعوهم، كما أنه بعد ذلك أذن الله له بالخروج والهجرة وأصحابه، كما أنه يحسن إلى الناس، ويواسيهم، ويقضي حاجاتهم، كما جاء عن أنس - رضي الله عنه - قال: كانت أمة من إماء أهل المدينة تأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فتنطلق به حيث شاءت. [رواه البخاري].

كما لا ننسى أن الترغيب والترهيب بالموعظة الحسنة، ووضع الأمور في نصابها من الأساليب القرآنية والنبوية الصحيحة، وقد جاء بها القرآن كثيرًا، مرغبًا تارة، ومحذرًا تارة أخرى، ليكوت أبلغ في الوعظ والتذكير.

فالواجب إذًا على كل داعية أن يسلك مسلك الرسل - عليهم السلام - في دعوته، راجيًا هداية الناس، وإخراجهم من الضلال والبعد عن الله وشريعته، إلى نور الإيمان والتوحيد، والاستقامة والاتباع.

وقد تكلم بعض أهل العلم في مسألة الوسائل التي يمكن للداعي إلى الله استخدامها في تبليغ دعوته، ومجمل القول أن الوسائل جائزة ما كانت مباحة أو مشروعة، وما عداها فلا يصح التبليغ به، لأن الوسائل في الجملة لها أحكام المقاصد، وهذه قاعدة شرعية واضحة.

فقد يكون التبليغ للدعوة بالقول، وهو من البلاغ المبين، كما قال تعالى: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [المائدة:٩٩].

وقد يكون بالكتابة والقلم، كما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - لما أخذ بدعوة الحكام والملوك للأمم من حوله، وكان يبعث بها أصحابه رضي الله عنهم، كما ذكر ابن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القيم في زاد المعاد: "فصل: ذكر هَدْيه - صلى الله عليه وسلم - في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم؛ ثبت في "الصحيحين" عنه صلى الله عليه وسلم، أنه كتب إلى هِرَقل: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مِنْ محمَّدٍ رَسُولِ الله، إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّوم، سَلامٌ عَلَى مَن اتَّبعَ الهُدى، أمَّا بَعْدُ: فإني أدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإنْ تَوَلَّيْتَ، فَإنَّ عَلَيك إثْمَ الأرِيسِّيينَ، و{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله، فَإن تَوَلَّواْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُون}. [آل عمران: ٦٤]".

وكَتَبَ إلى كِسْرَى: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مِنْ محمَّدٍ رَسُولِ الله، إلى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسٍ، سَلامٌ عَلَى مَن اتَّبعَ الهُدَى وآمَنَ بالله وَرَسُولِهِ، وشَهدَ أنْ لاَ إلَه إلاَّ الله وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُهُ، أدْعُوكَ بِدِعَايَة الله، فإني أنا رَسُولُ الله إلى النَّاسِ كَافَّةً لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً ويَحِقَّ القَوْلُ عَلى الكَافِرِينَ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إثْمُ المَجُوسِ".".

وقال أيضًا: "وكتب إلى المقوقِس مَلكِ مصرَ والإسكندرية: "بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مِنْ محمَّدٍ عبدِ الله ورسُولِه، إلى المُقَوْقِس عظِيمِ القِبْطِ، سَلامٌ على من اتَّبَعَ الهُدى، أما بَعْدُ: فإني أدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإسْلامِ، أَسْلِم تَسْلَمْ، وأَسْلِم يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإنْ تَوَلَّيْتَ، فإنَّ عَلَيْكَ إثْمَ القِبْط {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله، فَإن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}. [آل عمران: ٦٤]"." ([٤]).

وقد يكون التبليغ بالكتاب والتأليف والتصنيف، وإرشاد الناس به، وتوجيههم إلى معالي الأمور، وبيان العقيدة الصحيحة للناس، وإخراجهم من الضلال والأهواء، إلى نور الاتباع والسنة، والتحذير من البدع والمخالفات، والتوجيه إلى أصول الشريعة من السنن والعبادة والأخلاق، وغرس القيم والفضائل في النفوس، وتوجيه الشباب والأمة إلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قضايا المصيرية، وتبصيرهم بأمور الواقع والشريعة من الحلال والحرام، وبيان عقيدة أهل السنة من غيرهم من أهل الفرق والأهواء المخالفين للكتاب والسنة.

وقد يكون التبليغ بوسائل أخرى؛ كالشريط الإسلامي والأقراص، ونشر المجلات العلمية والدعوية المفيدة للشباب والمجتمع، والتي فيها من شروح وتفاسير، ودروس وبيان، وقصص للأنبياء والرسل، والصحابة والتاريخ الإسلامي، وكم نفع الله بمثل هذه الوسائل، وكم هدى بها من أقوام، وكم علم بها من جهالة، وأخرج به الخير من نفوس العالمين.

والتبسم في وجوه الناس، وطلاقة الوجه لهم، والوقوف إلى جانبهم، وسد حاجاتهم، ومناصحتهم، وإرشادهم إلى الخير والشرع، كل هذه وغيره يمكن أن يكون من وسائل التبليغ للدعوة الإسلامية.

ولا ننسى اليوم ما حدث من وسائل جديدة كالشبكة العنكبوتية، التي غزت العالم والناس في قعر بيوتهم، واستخدامها في نشر دعوة الإسلام والسنة، وإنشاء المواقع والشبكات الدعوية المكتوبة والمرئية والمسموعة، وتعريف الناس بهذا الدين العظيم.

ورسائل الهاتف والبريد الإلكتروني، وتبصير الناس بها إلى وجوه البر والخير، وإنشاء الجمعيات والمؤسسات الخيرية والدعوية للفقراء والأيتام والأرامل، وتوسيع النشاط في باب التكافل الاجتماعي لسد حاجات الناس.

وبعد هذا نقول: إن الداعية الموفق والبصير لن يعدم وسيلة دعوية مباحة ومشروعة في تبليغ دعوة الإسلام والسنة إلى الناس، وإن الله – تعالى – يفتتح لكل صاحب هم ورسالة ألف طريق لتعليم الناس وتبصيرهم.

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

* الهامش:

([1]) فقه الواقع؛ ص:٢٥.

([٢]) فتح القدير؛ للشوكاني.

([٣]) أضواء البيان؛ للشنقيطي.

([٤]) انظر: زاد المعاد؛ لابن القيم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
مقدمة.	٣
الفصل الأول: الشباب ومعرفة غاية الوجود الكبرى.	٥
أولًا: الشباب والوقت نعمتان يجب اغتنامهما:	٥
الشباب نعمة واختبار.	٥
الحذر من إضاعة الأعمار والأوقات.	٧
حال السلف مع الوقت وحفظه.	٩
معرفة الصحابة – رضي الله عنهم – غايتهم ورسالتهم.	١٠
ثانيًا: تحقيق العبادة الغاية الكبرى للوجود.	١٢
ثالثًا: النبي – صلى الله عليه وسلم – المثل الأعلى في العبادة:	١٦
حال النبي – صلى الله عليه وسلم – في عبادته.	١٦
حث النبي – صلى الله عليه وسلم – للصحابة والشباب على العبادة.	١٨
الفصل الثاني: البناء والتربية.	٢٣
البناء والتربية منهج النبي – صلى الله عليه وسلم – وأساس الدعوة والتغيير.	٢٣
حاجتنا إلى منهج الإسلام في البناء والتربية.	٣٠
الغاية المنشودة من التربية.	٣٦
الفصل الثالث: الحرص على طلب العلم النافع والفقه في الدين.	٤٣
فضيلة طلب العلم.	٤٣
العلوم الشرعية أفضل العلوم على الإطلاق.	٤٤
الفقه في الدين وأهميته وفضيلته.	٤٥
المنهجية في طلب العلم وآدابه.	٤٨
الفصل الرابع: الفهم الشمولي الصحيح للإسلام.	٥٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموضـــــــــوع	الصفحة
أهمية الفهم الصحيح للإسلام وخطر الانحراف عنه.	٥٩
الطريق إلى الإسلام:	٦٢
الأول: تحقيق الاعتصام والاتباع للكتاب والسنة وفق منهج السلف.	٦٢
الثاني: الفهم الصحيح للإسلام.	٦٤
الثالث: شمولية الإسلام.	٦٧
الفصل الخامس: تهذيب الأخلاق والسلوك.	٧١
معنى الأخلاق وضرورتها في بناء الشخصية المسلمة.	٧٢
النبي – صلى الله عليه وسلم – المثل الأعلى في الأخلاق.	٧٤
من مكارم الأخلاق في القرآن والسنة.	٧٦
التحذير من الانحراف في الأخلاق والتقليد الأعمى للكافرين والفاسقين.	٨١
الفصل السادس: حصر وضبط منهج التلقي والاستدلال.	٨٥
الأول: حصر مصدر التلقي والاستدلال والتربية في الكتاب والسنة.	٨٥
الثاني: موافقة منهج وفهم السلف الصالح.	٨٧
قاعدتان في الفرق والجماعات.	٩١
الفصل السابع: سلامة منهج العقيدة والتوحيد.	٩٥
مسائل مهمة حول العقيدة والتوحيد:	٩٥
المسألة الأولى: أهمية العقيدة في حياة المسلم وخطر الانحراف عنها.	٩٦
المسألة الثانية: أسس العقيدة الإسلامية وأركانها.	١٠٠
المسألة الثالثة: الالتفات إلى أهمية التوحيد وضرورته.	١٠٥
المسألة الرابعة: الاهتمام بكتب السلف في دراسة وفهم مسائل العقيدة.	١١٢
المسألة الخامسة: تحقيق عقيدة الولاء والبراء.	١١٤
الناس في ميزان الولاء والبراء.	١١٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموضـــــــــوع	الصفحة
أمثلة وصور في قضية الولاء والبراء.	١١٩
أمور لا تقدح في الولاء والبراء.	١٢١
الفصل الثامن: صحة العبادة والمعاملة.	١٢٣
مكانة هذا العلم وشرفه.	١٢٤
دراسة الفقه وتحصيله على الشيوخ والعلماء.	١٢٦
الفصل التاسع: تجديد الإيمان وتوثيق الصلة بالله تعالى.	١٢٧
١- إقامة الصلاة بأركانها وخشوعها.	١٢٨
٢- تلاوة القرآن وتدبره.	١٣١
٣- ذكر الله تعالى.	١٣٤
٤- مطالعة الأسماء الحسنى والصفات العلى وآثارها.	١٣٦
٥- قيام الليل.	١٤٠
٦- ذكر الموت والدار الآخرة وقصر الأمل.	١٤١
٧- الحذر من مقارفة الذنوب والمحرمات مع ملازمة التوبة النصوح.	١٤٤
٨- الحذر من آفة الغفلة القاتلة.	١٤٨
٩- المحافظة على أعمال ليوم والليلة.	١٥٣
١٠- المحافظة على آداب المسلم وتحقيقها.	١٥٩
الفصل العاشر: الاهتمام بالدعوة إلى الله تعالى وفقهها.	١٧١
أولًا: الالتفات إلى ما عند الله تعالى من الأجر والثواب للداعية.	١٧١
ثانيًا: التزود من سير الدعاة والصالحين على طريق الدعوة.	١٧٤
ثالثًا: الاهتمام بترتيب الأولويات في الدعوة.	١٧٧
رابعًا: تنوع أساليب الدعوة والاستفادة من الوسائل الحديثة.	١٨٣
الفهرس.	١٨٩